من بلد الرشيد بلاد الرافدين: دجلة والفرات

كان الشيخ الزهاوي

*** العلاّمة المجاهد الشيخ أمجد الزهاوي شيخ علماء العراق المعاصرين:**
(١٣٠٠ ـ ١٣٨٧هـ)

أيام الاحتلال الإنجليزي للعراق قامت الثورة عليهم، وكان الشيخ ضاري ـ رحمه اللّه ـ شيخ مشايخ عشائر زوبع في لواء الدليم خصمًا سياسيًّا بارزاً للإنجليز، وهو ـ رحمه اللّه ـ على جانب من الإيمان والشجاعة في الجهاد ضد الإنجليز حتى في معارك الكويت الضارية إلى جانب الجيش العثماني المسلم، وهي معارك ما يزال يئن من وطأتها تاريخ الحرب البريطانية حيث أسر فيها الجنرال الإنكليزي «طاوزند» وبعد تغلّب الإنكليز وسيطرتهم على العراق عيّنوا إنكليزيًّا وقحًا شرسًا، خبيثًا مجرمًا حاكمًا للواء الدليم مستقر الشيخ ضاري وعشائره الشجاعة المجاهدة وهو الكولونيل «ليجمن».

وفي أول لقاء بين الشيخ ضاري ـ رحمه اللّه ـ وهذا الإنكليزي المجرم القذر التفت «لجمن» إلى الشيخ ضاري وبادره بقوله: ها.. شيخ ضاري. أين أصحابك الأتراك؟

فقال الشيخ: لا أدري فقد ذهبوا حيث ذهبوا.

فقال لجمن: لا تدري؟ أنا أعلمك بخبرهم.. لقد تركناهم كالأرانب بين الشجر. وسكت الجميع.

وبعد ذلك أخذ لجمن يزور الشيخ ضاري في مضيفه وكان يحرص أن يسرد على مسامع الحاضرين قصص غزواته الشجاعة وكيف كان يذبح المتمردين العرب بشراهة وقوة وتبجح، وهم الثائرون المجاهدون ضد الإنكليز

ـ يغيظ بذلك الشيخ ضاري ومن كان في مجلسه.

▣ وفي إحدى هذه الزيارات برزت عزة المؤمن وأشار إلى ولده البطل الشجاع الشيخ خميس بن ضاري، وبعد خروج هذا الإنكليزي، الشرس القذر أفرغ الشيخ خميس المؤمن الشجاع عدة رصاصات من بندقيته فيه فأراده قتيلاً، يتخبّط في دمه، وقامت قيامة الإنكليز، كيف يُقتل الكولونيل «لجمن» وهو الحجر الأساسي لهذا الاستعمار، وخرج الشيخ ضاري ـ رحمه اللّه ـ إلى سورية ونجا هو وأولاده، وقامت المظاهرات الصاخبة في بغداد وأرجاء العراق تشيد بالشيخ ضاري وبوطنيته وشجاعته، ومما كانوا يهتفون به «هزّ ضاري لندن وأبكاها» ولكن مؤامرات الإنكليز استمرت تلاحق الشيخ ضاري حيث استطاعوا بواسطة سائق سيارة أرمني جاسوس عندهم أن يخدع الشيخ ويحمله إلى بغداد بسيارته، وكان مريضًا فأدخلوه المستشفى وحاكموه، وطلبوا له المحامي حسب أنظمتهم فأبى الكثيرون وتقدّم المؤمن الصادق الشيخ أمجد الزهـاوي المحامي الحرّ وتولى الدفاع عن الشيخ ضاري ولم يبال بالإنجليز ولا بأذناب الإنكليز. وهذا أحد المواقف الشجاعة التي يذكرها التاريخ العراقي لشيخ العراق وعالمه المجاهد الشيخ أمجد الزهاوي ـ رحمه اللّه ـ وأسكنه فسيح جنّاته[1].

* * *

(١) انظر «العلامة المجاهد الشيخ أمجد الزهاوي» لمحمد محمود الصوّاف ص(١٣ ـ ١٥) طبع دار الاعتصام.

*** إرادة اللَّه فوق إرادة الملك:**

❑ يقول الشيخ محمد محمود الصوّاف:

«وموقف آخر ذكره لي فضيلة الشيخ عبدالقادر حتاتة ـ رحمه اللَّه ـ خطيب مسجد الإمام أبي حنيفة النعمان في الأعظمية والرجل الصالح الكريم، قال لي ـ ونحن نتحدث عن قوة الشيخ في الصراحة في الحق ـ:

لقد طلبوا أمرًا من الشيخ أمجد أرادته الحكومة فأبى وهو رئيس في مجلس التمييز الشرعي؛ لأن الأمر الذي طُلب منه مخالف للشريعة، وأخيرًا ذهب إليه مسئول كبير وبلّغه رغبة الملك فيصل الأول بذلك فقال الشيخ: «إرادة اللَّه فوق إرادة الملك» ورفض الطلب[1].

*** الشيخ الزهاوي يراسل ملوك المسلمين ورؤساءهم مطالبًا لهم بتطبيق شرع اللَّه:**

كانت أولى هذه الرسائل والمذكرات رسالته إلى الملك محمد الخامس ملك المملكة المغربية وسلّمها له بيده عند لقائه به هو والشيخ محمد الصواف في قصر سلطانه في المدينة المنورة في يوم ٢٦ رجب سنة ١٣٧٩هـ الموافق ٢٤/ ١/ ١٩٦٠م وهذا نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الملك المعظم محمد الخامس ملك المغرب أسعده اللَّه وأسعد به المسلمين.

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته وبعد:

إن الواجب اليوم على كل مسلم ومسلمة أن يفكر في الحالة الراهنة

(١) المصدر السابق ص(١٥).

ومصير الإسلام فإن الجيل الحاضر قد انتشرت فيه الردة والداعون إليها في عمل مستديم وتعاون على محو الإسلام وهو الآن جار على حسب خططهم في كافة البلاد الإسلامية فلا بد من صيحة بالمسلمين لينتبهوا أمام هذا التيار الجارف إن المسئولية عن سير الحالة أصبحت عامة ولكنها درجات أولاً تقع على عاتق الأمراء ثم على العلماء، ثم على قادة الرأي والرؤساء، ثم على كافة المسلمين. فحماية الدين والدفاع عنه لم تكلف به الملائكة بل نحن المكلفون به فعلى قدر ما ينكب المسلمون في دينهم تعظم عقوبة المتقاعدين عن نصرته. أما المسارع إلى نصرته فإن اللَّه آخذ بيده وناصره لا محالة. وقد كفل ذلك بقوله عز من قائل: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ واللَّه لا يخلف الميعاد.

إن الذي يجب البداءة به من أمراء المسلمين بسرعة فائقة وعزيمة صادقة.

أولاً: إشغال المراكز الحساسة عسكرية أو إدارية بالأقوياء من المؤمنين الصادقين ولا تخلو البقاع منهم ولا يشترط فيهم أن يكونوا خريجي مدارس بل اجتناب هؤلاء أولى فإن أعاظم رجال التاريخ لم يستصحبوا في أعمالهم العظيمة سوى مقدرتهم الفطرية ومعلوماتهم من أدوار التجارب التي تمر بهم في أعمالهم.

ثانيًا: الحكم بموجب الشريعة الإسلامية وإلغاء القوانين التي هي أحكام جاهلية وأن يعين للقضاء رجال الدين.

أن المتجددين يزعمون أن ليس في الأحكام الشرعية كفاية وقد كذبوا فإن القوانين الغربية لا تقاربها في الدقة والعدالة علاوة على أن الشعب يدين بحقيتها فهو قد ارتضاها بصفته مسلمًا وأعدل حكم في نظر الطرفين ما يرتضيانه ويعتقدان عدالته لكن المتجددين يستنكفون من الشرائع ومن كل قديم وذلك كفر مضاعف وفيهم تفسير الآية الكريمة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ

اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

إن القوانين المدنية والجزائية إنما تراد لنتائجها وليس في الدنيا بقعة أرض هي آمن من البلاد السعودية بفضل تطبيقهم للشريعة والدعاوى المدنية تحسم فيها في أوجز وقت والطرفان يرضيان بالحكم ويعتبرانه عدلاً. وأفضل الأحكام ما له هذه النتائج.

إن تسليم الإدارة لغير المعروفين بالديانة متعبة للملوك؛ لأن همهم أن يكيدوا صاحب السلطة ليتخلصوا من كل قديم وقد قيل: «مقرب أعدائه قاتل نفسه».

ومن الخير العظيم أن تسعوا في حلف إسلامي ينتعش به المسلمون بواسطة بعثة علمية أكون أحدهم أو بغير ذلك من التدابير التي ترونها. وأظن أنه سيستجيب لهذا الحلف ملك ليبيا وملك السعودية وملك الأردن وغيرهم ممن كتبت لهم السعادة وسيكون هذا الحلف الإسلامي الخالص مباركًا وحصنًا للإسلام واللَّه الموفق.

محمد محمود الصواف
من علماء العراق وعضو المكتب
الدائم للمؤتمر الإسلامي بالقدس

أمجد الزهاوي
رئيس رابطة العلماء في العراق

openkandil.com

يقول الشيخ محمد الصوّاف في كتابه عن «الشيخ أمجد الزهاوي» ص(١٣٧ ـ ١٥٤): في أوائل شهر رجب سنة ١٣٧٩هـ تركت دمشق متوجهًا إلى المدينة المنورة لألتحق بشيخنا وأستاذنا أمجد الزهاوي ـ رحمه اللَّه، وهناك سكنَّا في غرفة واحدة قريبة من مسجد النبي صلوات اللَّه وسلامه عليه. وبعد بضعة أيام رأينا أن نواصل الجهود والعمل ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. ثم قررنا أن نرفع مذكرات ونداءات للملوك والرؤساء لعل اللَّه عز وجل أن ينفع بها، ونكون قد أدينا بعض واجب الدعوة والتبليغ. وإن كنا في هجرة وبعد عن وطننا وبلادنا. فالوطن الإسلامي بفضل اللَّه كله وطننا، وهذه المدينة المنورة هي دار الهجرة والمهاجرين، ومنها انطلق النور وانطلقت الدعوة، وانطلقت جيوش الفتح تحمل النور والهداية للعالمين.

وبعد قرارنا هذا تفرغ الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ لكتابة هذه المذكرات، وبعد الانتهاء منها توجهنا إلى جدة، وقابلنا سفير ليبيا، وسلمناه مذكرة للملك المؤمن محمد السنوسي ـ رحمه اللَّه. وكذا قابلنا سفراء باكستان والسودان ومصر، والأردن والمغرب، وتونس والجزائر وغيرهم من سفراء الدول الإسلامية حيث حملناهم الأمانة وسلمانهم الرسائل ليبلغوها كل إلى مرجعه=٣ ودولته.

أما رسالة الملك سعود ـ رحمه اللَّه ـ فلم يكن في جدة فأخرناها لنسلمها له باليد. ثم عدنا إلى المدينة المنورة بعد أن مكثنا في جدة قرابة عشرة أيام.

رسالة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الجلالة الملك سعود المعظم أيده اللَّه سبحانه وتعالى بما

يؤيد به أولياءه.

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

إن اللَّه عز وجل قد استودعكم إمارة المسلمين وإن لهذه الوديعة لا سيما في هذه الظروف شأنًا عظيمًا لا يقدر قدرها إلا العالمون فالجو مظلم من جميع الأرجاء وقد أحاطت بنا علل قتالة من إلحاد وبلشفة تتدفق من كل صوب كالسيل الجارف، واليهود على مقربة من الأماكن المقدسة وقد كمنت فيها عصارة قوة الغربيين لجعلها مركزًا لاحتلالهم البلاد الإسلامية عند زوال التوازن بين الكتلات المتقابلة، أو تقسيمها عند التقارب بينهما ويدل هذا الكمون بوضوح اندفاع اليهود على الجيش المصري بصورة لم تمكنه من لم شعثه في الهزيمة فأحس الروس أنه بعد بضعة أيام ستصبح أفريقيا بيد الغربيين غنيمة باردة دون عناء فهدد بإعلان الحرب إذا لم ينسحبوا فأرغموا على الانسحاب واكلين الأمر إلى فرصة أخرى ومع كل ذلك لا يجوز لنا وليس من المعقول الاستسلام لليأس فقد قال النبي ﷺ: «**من قال هلك الناس فهو أهلكهم**»، أي: بإدخاله اليأس على قلوبهم وكيف يساورنا اليأس واللَّه عز من قائل يقول: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ**﴾، ويقول: ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، ولكن لا ينبغي لنا أن نأمل النصر الموعود إلا بعد إحكام الشرط المشروط، وذلك نصرة اللَّه سبحانه وتعالى باتباع أوامره فقد جرت سنته في الكون بترتيب المسببات على الأسباب فمن لم يزرع لم يحصد ولكن من زرع القليل حسب مكنته ربما يحصل على كثير لم يكن في الحسبان بفضل اللَّه وبركاته، فعلينا الإقبال على ما أمرنا اللَّه سبحانه وتعالى به بكل وسعنا على التفكير وإعداد القوة وليكتب العامل منا على باب غرفة عمله الحديث الشريف «من استوى يوماه فهو مغبون»[1]، فإذا رآنا اللَّه

(١) حديث لا يصح.

سبحانه وتعالى قد صدقنا الجد ومحضنا النصح للّه ولرسوله وللمؤمنين عمنا برحمته كما قال فيمن امتحنهم من الأمم السابقة ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾.

«ما تجب معالجته بادئ ذي بدء»

أرى أن أول ما يجب عمله نظرًا للحالة الراهنة السعي في إنشاء حلف إسلامي بدلاً من الرابطة العربية التي تذكرنا بعهود الغساسنة والمناذرة حين كانوا يسامون الخسف والهوان تحت سيادة المستعمرين.

وإشادة بذكر ملوك الإسلام التي دانت لهم بقاع الأرض وكانت لهم السيادة على الربع المسكون كما يقول ابن حزم واستمر لهم ذلك الأجيال المتطاولة إلى عهد ليس ببعيد أن هذا الحلف يجعل المتحالفين كتلة واحدة في الدفاع عن الإسلام، ولكي تسري فيه الروح الإسلامية ويكون له مفعول قوي يشترط على الداخل فيه أن يلتزم أحكام الشرع ويتقيد بشعائر الدين حتى يستثار بذلك شعور المؤمنين فتتعالى أصواتهم وتتجاوب من كل مكان ويعلم العالم الإسلامي أن اللّه سبحانه وتعالى بعث إليهم من يجدد دينهم فيبتسم لهم الأمل وينشطون من الخمول وتصبح لهم نفوس فعالة قديرة على محافظة دينهم وحراسة زعمائهم الذين يتولون تنظيم سعادتهم، وهكذا على مجرى الأيام تزداد فيهم عزيمة الدفاع والشعور بالواجب الديني فتسموا نفوسهم كما سمت نفوس آبائهم بالسلاح المعنوي وهو يفوق السلاح المادي بما لا يتقارب وعليه الاعتماد عند الشدائد ويقول علماء الاجتماع: إن توسع الأمم يمتد على قدر تعصبهم للمبدأ الذي يوحدهم وانتصارهم له ومن هنا نعلم أن انتشار الشيوعية واستطارتها في الأقطار ذلك لاستماتتهم حول مبدأهم والمسلمون أشد انتصارًا للإسلام من الشيوعية لمبدئهم.

ولكن أمراءهم أساءوا إليهم حين جردوهم من مبدئهم الحقيقي فأماتوا

فيهم هذه الغريزة واستبدلوا بها القومية والوطنية التي لا يتحسس بها المسلمون تلوكها ألسنتهم إطاعة لأمرائهم وليس لقلوبهم منها شيء.

حتى صاروا أجسامًا بلا أرواح، لا يثبتون أمام العواصف، أما وقوف الأتراك في الحرب العالمية الأولى حين تألبت عليهم وعلى حلفائهم الغربيين بأسلحتها الفتاكة حتى استسلمت لهم ألمانيا بلا قيد ولا شرط وقد كانت أكبر دولة حربية واضمحلت النمسا التي كانت أم الأوربيين ذلك لأنهم كانوا تربية المرحوم[1] السلطان عبدالحميد وقد كان مؤمنًا فكانوا يذكرون اللَّه سبحانه وتعالى عند هجماتهم وضد أعدائهم فلم يرزءوا من بلادهم شيئًا وذلك بفضل ـ ما كانوا عليه من الإيمان، أما الآن وقد شطت بهم أمراء السوء وأنسوهم الذكر فلا يعرف مصيرهم إذا عصفت بهم العواصف.

«كيفية تنظيم الحلف»

إذا كان للرأى العالي فيه جبهة فهناك التوفيق إن شاء اللَّه وإن أمرنا بمعالجة المقترحات فأنا أذهب مع الصواف ومن أردتم أن يصحبنا بكتاب منكم إلى من تؤمل منه الإجابة أولاً فنعرض عليه هذا الرأي وندعمه بما يفتح اللَّه علينا من البينات فإذا اقتنع بهذا الرأي حصلنا منه على كتاب معتمد يكون معنا للذهاب إلى آخر وهكذا إلى أن يتم عدد الذين يرغبون في الدخول بالحلف أولاً فيصبح بسلاحه المادي والمعنوي وعزائم ملوكه حصنًا حصينًا ومعقلاً جليلاً مهابًا تستشرف له النفوس ويأوي إليه الملوك للاعتصام به عند النوازل وما أقربها نظرًا لما تنذر به الأحوال المشاهدة، فرحم اللَّه سبحانه من أسس هذا البنيان له ولمن استرعاه اللَّه وهو سائر بهم إلى ساحل السلام الشاطئ الأيمن المبارك فطوبى له ولمن سار في ركابه واللَّه ولي التوفيق.

أمجد الزهاوي

---

(١) لا يجوز الجزم بالرحمة ودخول الجنة لأحد ولا نقطع بذلك إلا لمن سمّاه الشارع.

سلمتها بيد الملك سعود في طريق الطائف عند افتتاح الطريق الجديد طريق جبل الهدى.

٢٨ رمضان سنة ١٣٨٠ ـ محمد الصواف.

رسالة الملك إدريس السّنوسي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة ملك ليبيا المعظم أسعده اللّه وأسعد به المسلمين.

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته وبعد:

فإن الحالة الراهنة توجب على كل مسلم ومسلمة التفكير والتعاون على مقاومة الإلحاد والإباحية والازدراء بالشرائع السماوية في جميع الأقطار وهي سائرة على الخطط المرسومة من جماعات تعاونت علي كيد الإسلام للتخلص منه ومن كل قديم وعلى نسبة خطورة الحالة تقع المسئولية على عاتق كل مسلم ومسلمة على اختلاف درجاتهم فيها.

فأولاً: على الأمراء؛ لأن القيادة في أيديهم ويملكون من توجيه الأمة ما لا يملك غيرهم، والمؤاخذة على قدر المقدرة، وقد كتب النبي ﷺ لعظيم الروم أنه إذا لم يستجب إلى الإيمان فإن عليه إثم الأريسيين.

وثانياً: العلماء؛ لأنهم المرشدون للأمة ومسموعو الكلمة فيهم وبصلاحهم تصلح الأمة.

وثالثًا: أولو الرأي والأشراف فلهم من نفوذ الكلمة ما ليس لغيرهم.

ورابعاً: العامة ولن يعفى المسئولية أحد من المكلفين.

لهذا نرى أن نستنجد بكم لمكانتكم ومكانة أسلافكم من الدين، فقد

جمعتم بين الحكم والعلم والإرشاد، والتدابير العاجلة التي يجب المسارعة إليها هي:

١ ـ إعلان إجراء الأحكام الشرعية في البلاد فإن مركز الإسلام يتقوى بذلك وبه يحصل الوئام بين الراعي والرعية وخير ما تحكم به الأمة الأحكام التي تعتقد عدالتها، والشعب المسلم لا يرى العدالة إلاَّ فيها، على أن القوانين إنما تراد لنتائجها وهي الأمن وفصل الدعاوى بسرعة وبصورة يرتضيها الطرفان، وذلك ظاهر من تطبيق الأحكام الشرعية في البلاد السعودية فليس في الدنيا بقعة أرض تماثلها في الأمن بفضل تطبيق الشريعة فيها كما أن المسائل الحقوقية تفصل بكل سرعة ويتلقاها المتخاصمان بالقبول.

٢ ـ إشغال المناصب العالية والحساسة بالمعروفين بالديانة والتضحية في سبيل الإسلام من أولي القوة دون انتقائهم من خريجي الجامعات المشبعة أرواحهم بما لا يوافق نفوسنا. فإن قوة الإرادة بقوة الروح وما عليه التجارب أثناء السير في الأعمال وهو المعروف عن عظماء الرجال المخلدة أعمالهم في صفحات التاريخ ولم يؤثر على أحدهم استمداده العون من الكتب، فقوة الإرادة بالروح القوية والعزيمة الصادقة والعقل الفطري المتكامل بممارسة الأعمال.

٣ ـ تقريب العلماء المشهورين بالصلاح والإكثار من الاستعانة بهم حتى يتمكنوا من توجيه الناس بالوعظ والإرشاد إلى واجباتهم الدينية التي منها حث الناس على إعداد القوة والالتفاف حول السلطان ومحافظته وتنفيذ أوامره المشروعة كما يأمر به الشرع الشريف؛ لأنه مصدر قوة المسلمين فعليهم محافظته ومؤازرته وعدم الخروج عليه حسب وصية النبي ﷺ فيهم ما لم يروا منهم كفرًا بواحًا.

٤ ـ الإقلال من مدارس المعارف وعدم السماح بامتدادها إلى الأرياف

والسيطرة عليها بأن لا يندس بين رجال التعليم مجهول لا تعرف عدالته وعلى الكتب التي تدرس فيها وإلزام الطلاب بإيفاء شعائر الدين وطرد من يؤنس منه التهاون بها وتوزيع الإدارة فيها إلى رجال مشهورين بالصلاح وإعطائهم الصلاحية التامة في شئون الإدارة لما يجب عمله لمحافظة المدرسة من دخول الآراء الهدامة فيها، فإن مكروبًا واحدًا منها كاف لهدم صرح المملكة والحكم وفي سقوط حكومة المرحوم عبدالحميد في تركيا وفي مصيبة بغداد الحاضرة عبرة لمن اعتبر فالتساهل في ذلك إلقاء النفس في تهلكة الدنيا والآخرة وتعريض المملكة إلى الضياع فلم تؤت الممالك الإسلامية إلا من قبل المدارس «من ها هنا يطلع قرن الشيطان»، ولهذا أرى الأوفق الإقلال من الصفوف النظرية واستبدالها بمدارس صناعية إنتاجية تدر الخير على البلاد.

وفقكم اللَّه لسعادة المسلمين وعمر قلبكم بالالتجاء إليه سبحانه وتعالى والتوكل عليه وطرد عنكم الضعف واليأس مهما جابهتكم الخطوب العظام، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾، وقال عز من قائل ﴿إن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾...

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

أمجد الزهاوي
رئيس رابطة العلماء في بغداد
ورئيس المؤتمر الإسلامي بالقدس
١١ شعبان ١٣٧٩هـ
٨ يناير ١٩٦٠م

رسالة رئيس جمهورية باكسْتانْ

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السيادة رئيس جمهورية باكستان المعظم.

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، وبعد:

فإن ما شاع عنكم من رجاحة العقل وسمو التفكير وقوة الإرادة وحب الإسلام دعاني إلى التعاون معكم في بيان عوامل الانحطاط ووسائل الترقية والرجوع إلى القوة التي لم تفارق المسلمين إلا من عهد قريب حينما أضاع حكامها استقلال الرأي ورفعوا على رءوسهم علم المغلوبية ألا وهو التقليد، فإن الأمة المغلوبة شأنها أن تتشبه بالغالبة.

إن عوامل الغلبة بالدرجة الأولى لا تركز على القوى المادية بل على الأمور المعنوية وذلك بشدة التمسك بالمبدأ الذي يوحدهم والدفاع عنه وقد ذكر علماء الاجتماع أن قوة الحكومة واتساعها على نسبة تعصبها للمبدأ الذي تحتضنه وتمسكها به. وقد تجلى ذلك في الشيوعية فإن قوتها المشاهدة تستمد من تغلغل مادتها في نفوسهم وذلك سر انتشارها واتساعها في أقطار الأرض. إن المسلمين أشد اعتزازاً بدينهم ودفاعًا عنه من الشيوعيين بمبادئهم ولكن في الآونة الأخيرة صار حكامهم ينتزعون منهم هذا المبدأ بوسائل مختلفة مستعيضين عنه بمبادئ القومية والوطنية اتباعًا للغربيين، والمسلمون لا يتحمسون لهذه المبادئ الاصطناعية التي لا تتعدى ألسنتهم وليس لها أي مفعول في قلوبهم فقد سلبوهم المبدأ الحقيقي دون أن يحل محله آخر فصاروا أجسامًا خاوية وأفرادًا متفرقين لا تجمعهم جامعة فكان ضياعهم في أقطار الأرض وفقدانهم عزهم أمرًا طبيعيًا حتى قال بعض من لم ينظر في التاريخ من الغربيين في تعليل ما أصيب به المسلمون من الضعف والهوان: قد غرَّ

هؤلاء دينهم حيث يأمرهم بالتوكل على اللّه في أمورهم وترك الوسائل والأخذ بالأسباب ونظرة بسيطة في التاريخ ترينا قصر نظر هؤلاء حيث لم يمتد إلى ما قبل الحالة الراهنة حتى يروا سيادة المسلمين على ربع المسكون طيلة القرون الماضية وإذا أصابتهم مغلوبية في بعض الأقطار فإنما هي موضعية كنكبة الأندلس في الوقت الذي سقطت فيه إمبراطورية الروم بسقوط القسطنطينية وكانت السيادة في أوربا آنئذ للعثمانيين وكذلك فتنة التتار التي لم تقف أمامها دول الغرب قد صدت من قبل عساكر مصر والشام وبعد ذلك دخلوا في الإسلام وكيف تصح نسبة ترك الأسباب لهم وهم يقرأون في القرآن ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾.

فقد أمرهم القرآن بإعداد القوة بمنتهى الوسع وما بعد المنتهى غاية، والتاريخ يذكر أن معداتهم الحربية في عامة حروبهم كانت تتفوق على معدات خصومهم وإنما السبب الحقيقي ما ذكرنا من إضعاف المبدأ الذي يحاربون من أجله وذلك الإسلام وهو سلاحهم المعنوي، وهو أقوى من كل سلاح مادي.

إن الجيش العثماني كان في الحرب العالمية الأولى مربىّ تربية إسلامية فقد كان تربية المرحوم السلطان عبدالحميد وهو كان مسلمًا صحيح الإسلام، فاستطاع هذا الجيش أن يقف بوجه الحلفاء وحده حينما سلمت ألمانيا دون قيد أو شرط نزولاً على حكم الأعداء واضمحلت النمسا غير أن العثمانيين بقوا في النضال ست سنوات ولم يخسروا من بلادهم سوى البلاد العربية التي خرج عليهم زعماؤهم بإغراء الأعداء فالرجوع إلى القوة هو الرجوع إلى الإسلام وذلك بنشر تعاليمه وتطبيق أحكامه وحمايته عن المبادئ المناقضة له. فإذا قامت بذلك دولة من دول الإسلام لا سيما إذا كانت مثل دولتكم في اتساعها وكثرة الأفراد ووفرة الإمكانيات فيها من كل ما تتطلبه أسباب الغلبة كان النجاح مضمونًا ورجعت القوة الإسلامية كما كانت وعاد النصر حليفهم

وهكذا يعلو شأنهم حتى يصبحوا كتلة ثالثة في العالم الحاضر. فالمسلمون اليوم وعددهم نحو من خمسمائة مليون في انتظار ذلك الزعيم المسلم الحق الذي يودعه اللَّه أمر هذه الأمة فينصب لها علمًا تلتفت حوله حتى تحتل به مكانتها الأولى.

إن هذا الانقلاب الخطير لا يكلف أمرًا عظيمًا فإن قوامه بأربعة أمور:

١ ـ أن يعلن إجراء الأحكام الشرعية في الدولة وإظهار الشعائر الإسلامية بكل معناها.

٢ ـ أن توسد المراكز العليا للمعروفين بالديانة والنصح للمسلمين من أولي القوة.

٣ ـ أن توسع دائرة الوعظ والإرشاد سيما بين الجنود ومدارس المعارف حتى يتكون في الدولة جيل صالح يقوى على مجابهة الأخطار.

٤ ـ أن تكون مدارس المعارف تحت مراقبة تامة في انتخاب المدرسين والدروس وإلزام الطلاب بإيفاء واجباتهم الدينية.

إن إنجاز هذه الأربع في غاية اليسر. أما الأولى فإن الشعب مسلم لا يعتقد شيئًا من القوانين الوضعية يسامي أحكام الشريعة وبصفته مسلمًا راضيًا بها ومعتقدًا بصحتها وضحى في سبيلها، وأفضل الأحكام هي التي يرتضيها الطرفان المتحاكمان. هذا من الوجهة النظرية، أما من الوجهة العملية فإن لها أثرًا عظيمًا في الغاية التي تراد من أجلها القوانين فإنها إنما تراد لنتائجها وأثر الأحكام الشرعية في المملكة السعودية ظاهر للعيان فلا توجد في الأرض بقعة تماثلها في الأمن وسرعة الفصل في القضايا وذلك بفضل تطبيق الأحكام الشرعية فيها فلا تتكدس فيها الإضبارات فتشغل الحكام عن سرعة الإنجاز ويتمتع الظالم بظلمه مدة بقاء الدعوى تحت نظر الحكام فيتكاثر الظلم لتلك الغاية. وأما البواقي فإنها من حق تصرفات الحكام الاعتيادية، وقد كان في

السابق يمولها المتجددون الذين لا يرتاحون لكل قديم ويحتجون بمعارضة حلفائنا للرجوع لأحكام الشرع كما كانت عليه أسلافنا.

أما الآن فإن خطر الشيوعية قد جمع بيننا وأزال تلك الفوارق فإن بناء التحالف على القوة ولن تتجلى قوة المسلمين إلا باتباع مبادئهم فأي غرض للحليف في إضعاف قوة حليفه التي عليها بنيت المحالفة في ظروف خطيرة فإن غلطة واحدة ربما أدت إلى زوال الجميع من خارطة العالم إن هذا لا يتصور أن يقدم عليه عاقل. إن الخطر قد أحاط بالعالم وإننا الآن في الخط الثالث والساقط في الحرب القادمة لا يرجى له قيام وإنا لنأمل أن تسيروا بالمسلمين لا بباكستان وحدها إلى شاطئ السلامة الشاطئ الأيمن المبارك، فإن في الأوساط الإسلامية والتطورات الاجتماعية استعداداً لذلك ولا بد أن ينبثق نور السعادة من نقطة فطوبى لتلك النقطة التي تكون منبعًا لسعادة العالم.

ونحن ندعو اللَّه سبحانه وتعالى أن تكون تلك النقطة ولا يحتاج الأمر إلا إلى إرادة قوية وعزيمة صادقة وذلك معهود فيكم فما الإصلاحات التي قمتم بها هي الغاية نظراً للعزيمة القوية التي منحكم اللَّه إياها بل نأمل أن تكون هذه في طريق الغاية التي هي أسس من كل ما خلده التاريخ لعظماء الرجال، فامضوا على بركة اللَّه فستخدمكم الصدف وتنقاد لكم الأمور ويحالفكم النصر، قال اللَّه سبحانه وتعالى ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ لا يخلف اللَّه وعده.

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

أمجد الزهاوي
رئيس المؤتمر الإسلامي بالقدس
ورئيس رابطة العلماء في بغداد
١٠ شعبان ١٣٧٩هـ
٧ يناير ١٩٦٠م

* باكستان في نظر الزهاوي:

في حديث للشيخ الزهاوي مع مجلة الأخوة الإسلامية في عددها ٢١ الصادر في بغداد ٢٥ من ذي الحجة سنة ١٣٧٣ الموافق ٤ أيلول سنة ١٩٥٣ سُئِل ـ رحمه اللَّه ـ: ما رأيكم في وضع الباكستان الحاضر؟ أجاب سماحته:

«إن قيام دولة الباكستان وانفصالها عن الهند كان على أساس ديني؛ لأن الأكثرية الساحقة من سكان الباكستان من المسلمين ولذا فقد كان من المنتظر من الحكومة الباكستانية أن ترعى الإسلام رعاية تامة وتؤازر كل حركة إسلامية صحيحة تهدف لإعلاء الإسلام ونصرة المسلمين، ولكن الذي فهمناه وأيّدته الوقائع أن الحكومة قد تنكّرت لزعماء الحركة الباكستانية بل تنكّرت للإسلام وهذا خطر عظيم إذا كانت الأمة في جانب والحكومة في جانب آخر، ويعظم هذا الخطر عند الشدائد والمحن. ولا شك أن الباكستانيين يعلمون أن انفصالهم عن الهند كان على أساس ديني وإلاّ فهم قوم واحد فإذا تنكرت الحكومة للإسلام ازداد تأثير المسلمين في الباكستان ونقموا على الحكومة وامتلأوا غيظًا وحقدًا لمن تنكّر للإسلام ولمن فصلهم عن أبناء جنسهم.

نسأل اللَّه أن تتعظ الحكومة الباكستانية وتدرك هذه النقطة الحسّاسة فترعى الإسلام وعلماء الحركات الإسلامية الذي يعلم اللَّه وتُشهدُ العالم أن الباكستان لو لم يكن الإسلام لما وُجِدت دولة في القارة الهندية يُطلق عليها الباكستان.

إني لأحذر الحكومة الباكستانية من الاستمرار في غيّها خشية النقمة عليها من مسلمي الباكستان الذين يقرأون الحديث الشريف **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»** سدّد اللَّه أولي الأمر إلى الطريقة المثلى التي تحفظ كيان دولة الباكستان لأن الاحتفاظ بالشيء أصعب من الحصول عليه»[1].

(١) المصدر السابق ص(١٦٨ ـ ١٦٩).

رسالة رئيس جمهورية السودان

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فخامة رئيس جمهورية السودان المحترم.

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته وبعد:

فإن النفوس الكبيرة تجابه المستقبل بالحزم، والأعمال بقوة العزم، وتقابل النعم بالشكر. وقد اختاركم اللّه سبحانه وتعالى لقيادة الأمة السودانية التي هي من خيرة الأمم الإسلامية وجهزكم بما تحتاج إليه القيادة الرشيدة في الصفات كما جهز شعبكم من المناعة بما يصد عنه كل عدوان. فشكر هذه النعم يتم بمقابلة صرف هذه المواهب في سبيل سعادة الشعب بتقوية روح الإيمان وتنميتها في قلوبهم وهو الوضع الطبيعي فيها المحافظ على وحدتها التي هي قوام كيانها وبقائها ومتى فقدته تفرقت بها المبادئ المختلفة وأفقدتها قوتها المعنوية فكانت المغلوبية، وفقد الاستقلال لها محتّمًا والمسئول الأول عن ذلك الذي يرعاها فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته أعاذك اللّه من ذلك.

والسياسة الرشيدة جمع الأمة على ما به سعادتها وهو الإسلام الذي نعتقده وندافع عنه وهو قوتها المعنوية التي هي أمضى من كل سلاح وقد برهنت الحروب السابقة على مفعولها فيهم. تاركون إلى غيره من المبادئ القومية والوطنية التي تنطلق بها ألسنتهم ولا تمر بقلوبهم مغامرة عظيمة في انحلال قوة الأمة التي عليها ترتكز سيادتها.

فالزعيم العظيم هو الذي يحافظ على ما به سعادتها وسيادتها ويجنبها ما به شقاؤها وانحلالها شعوراً بالمسئولية العظيمة الموجهة إليه.

إن حماية الأمة ورعايتها الكافلة لسعادتها وبقاء استقلالها يتم بأربعة أمور:

١ ـ إشغال المراكز الكبيرة الحساسة من عسكرية وإدارية وقضائية بالمشهورين بالديانة والصلاح ولا يقتصر في ذلك على خريجي الجامعات وحملة الشهادات فإن عظماء الرجال الذين خلدت أعمالهم صفحات التاريخ لم يكن لهم سوى العقل الفطري وقوة الإرادة والعلوم التي يكتسبونها من التجارب حين مجابهتهم الأمور الخطيرة.

٢ ـ تقريب العلماء ووضعهم في مراكز مرموقة حتى تحتل الصفة الدينية في المملكة مكانتها اللائقة بها والإكثار من وظائف الوعظ والإرشاد ولا سيما بين الجنود حماة الإسلام. ومدارس المعارف المربية لرجال المستقبل حتى تظهر على المملكة السيادة الدينية فتتبعها الوحدة ومن ثم القوة.

٣ ـ إعلان إجراء الأحكام الشرعية في البلاد فإن الأمة المسلمة تعتز بها ولا ترى أحكامًا تساميها والأسس التي تبنى هي عليها في غاية الدقة والمنطق يحق للمسلمين أن يفتخروا بها على غيرهم كما أن مفعولها فيما توضع القوانين لأجله من الأمن وسرعة إيصال الحقوق إلى مستحقيها يتجلى في البلاد السعودية فليس في الأرض بقعة آمن منها والقضايا الحقوقية تفصل فيها بأسرع وقت على ما يرضى الطرفين المتخاصمين. إلا أن المتجددين الذين سرت فيهم الروح الغربية لا يروق لهم ذلك لمجرد أنه قديم وهم أعداء لكل قديم وإلا فليس لهم من النظريات الحقوقية ما تعرف به مناهجهم في استنكارها سوى أنه لم تكن صياغتها من قبل الغربيين وهكذا نفوس الغربيين تتحكم في نفوسنا حتى إننا لنرفع على رءوسنا علم المغلوبية وهو التقليد في كل مجال حياتنا.

٤ ـ النظر الدقيق في مدارس المعارف فإنها هي التي تكون الرأي العام فيجب أن يكون المدرسون فيها مراقبين أشد المراقبة حتى لا يدخل بينهم من لا تعرف سيرته ونزعته فإن مكروبًا واحدًا كافٍ لإفساد أمة بأسرها كما أن

الكتب التي تدرس يجب أن تكون فنية خالية من الآراء الاجتماعية والعقائد الزائفة. وينتخب المدرسون من المعروفين بقوة الروح والتأثير في الإلقاء فإن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان. ويستعان على ذلك بمن يختار لهذه المهمة من رجال الإدارة الذين هم على جانب من الصلاح والقدرة ويزودون بصلاحيات واسعة ليتمكنوا من أداء مهمتهم بكل حرية ومع ذلك يقتضي تقليل الصفوف وقصرها على العلوم العملية الإنتاجية وعدم امتدادها إلى الأرياف فإنها مادة الإسلام ومعدن القوة وملجأ صاحب السلطة في قمع أهل الشغب عند ثورتهم فينبغي ترك الأرياف على بساطتهم وفطرتهم مجهزين بالمبادئ الدينية التي منها إيجاب طاعة أولي الأمر ومنع تسرب النظريات الاجتماعية الحديثة إليهم التي هي مظنة التفرقة والاختلافات وقى اللّه بلادكم منها ووفقكم للعمل لصالح الأمة وأيدكم بنصره فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ فالنصر مضمون لكم عند نصرة الدين والسلام عليكم.

أمجد الزهاوي
رئيس المؤتمر الإسلامي بالقدس
ورئيس رابطة العلماء في بغداد

* مذكرة لبقية الملوك والرؤساء يُرسلها الشيخ الزهاوي:

وهذه المذكرة سُلِّمت بيد السفراء في جدة بعد مقابلتهم والتحدث معهم:

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته:

وبعد فإن الرزية كل الرزية ما أصيب به المسلمون من وافدة الردة التي نشبت جذورها في الأقطار الإسلامية إلى جانب التحلل والخلاعة البالغة التي نزلت بهم إلى مستوى الحيوانات. تلك السحب المظلمة التي أنذر بها النبي ﷺ مبشراً العامل فيها بأجر خمسين رجلاً من الصحابة، إنهم على آثار أهل بدر في العمل على عز الإسلام يا لها من منزلة عالية أكرمنا اللَّه سبحانه وتعالى بها وإنما تراد الحياة لنيل هذه المناصب السامية على قدر أهل العزم تأتي العزائم وقد كانت ملوك المسلمين برها وفاجرها تحمي الديانة عن التجاوز عليها وعمن يخترق حرمتها في النفوس وتصدر في مهام أمور المسلمين عن رأي العلماء، وبذلك حافظوا على السيادة في ربع المسكون إلى عهد قريب حيث أضعف نفوسهم إعجابهم بالغربيين فقلدوهم في كل شئونهم وإنما التقليد علم المغلوبين ومن الاستكانة رفع علم المغلوبين على رءوسنا.

إن مصدر غلبتنا في عصور عزنا سلاحنا المعنوي الذي يدفعنا إلى ساحة القتال ويصحبنا فيها هذا المبدأ الذي كنا نحارب من أجله ذلك الإسلام وغلبة الأقوام وامتداد الملك يكون على نسبة قدسيتهم لمبدأهم والتفافهم حوله فالشيوعية إنما استطارت إلى أقطار متنائية لشدة تعصب القائمين بها وتحزبهم لمبادئها على كون تلك المبادئ مصادمة للعقل ومضادة للطبيعة.

أما الآن فقد هدموا هذا المبدأ الذي عليه محور انتصاراتنا واستبدلوا به مبادئ لا تمت إلى الإسلام بصلة كالقومية، والوطنية فانفصمت عرى الوحدة

ولم يبلغ مفعول المبدأ القلوب فتعاونت علينا ثلاثة عوامل الانقسام وضعف النفوس وعدم الوثوق بالمستقبل، وفي هذه الظروف ترانا في مسئولية عظيمة أمام اللَّه سبحانه وتعالى، إذا وقفنا أمام هذه الحوادث صامتين، فقادنا التفكير إلى إنشاء مؤتمر إسلامي يكون محل دعوة للمؤمنين إلى الأعمال التي ترفع شأن الإسلام ورأينا في طريقنا أن نعرض على من نتوسم فيه الإيجابية من ملوك الإسلام فكرة التضامن على هذا المشروع فإن فيه السير بالأمم إلى ساحل السلامة الشاطئ الأيمن المبارك وهم أقدر بإمكانياتهم إلى تكييف شعوبهم بما يؤدي إلى إسعادهم وسيبذل المؤتمر جهوده تحت إشرافها وتوجيهها ولنا الأمل الواسع بأن الذين ترسل إليهم كتبنا من الملوك والرؤساء في هذا الشأن العظيم وهو التضامن على هذا الانقلاب الفكري والأخلاقي الصامت سيقابلوننا بالإجابة المشفوعة بالشكر نظرًا لما نتوسم فيهم من الفطرة على الخير فيكونون مفاتيح للخير مغاليق للشر وعلى مقدار ذلك يتفاوت عظماء الرجال وسيلحق بهم سائر ملوك الإسلام فيكون لهم فضل التقدم على حد قوله ﷺ: «**من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**». وباتفاق قادة المسلمين تعود شوكتهم كما كانت، فطوبى لمن يجري ذلك على يديه. واللَّه الموفق.

أمجد الزهاوي
رئيس المؤتمر الإسلامي بالقدس
ورئيس رابطة العلماء في بغداد

*** البطل الفذّ أحمد عبدالعزيز.. إذا ذُكِرت فلسطين ذُكِر أحمد عبدالعزيز.. أبرز شخصية عسكرية أنجبتها المعارك على ثرى فلسطين:**

❑ البطل أحمد عبدالعزيز مفخرة الجيش المصري والعسكرية المصرية، وهو الذي تولى قيادة المتطوعين في حروب فلسطين، والتنسيق بينهم وبين الجيش المصري تحركت كتيبة بقيادته في اتجاه بئر سبع، ومنها إلى الخليل، ومنها إلى بيت لحم حيث عسكرت، وهناك دارت معارك كبيرة أمام مستعمرة رامات راحيل.

❑ هذا البطل العظيم الذي لا ينساه تلاميذ من ضباط الجيش المصري، وهو يُلقي عليهم محاضراته القيمة في كلية أركان الحرب، وبطولاته الرائعة التي سجّلها في ميدان الفروسية.. ولا ينساه أهل فلسطين، وهو يسجل صفحات النور في تاريخ فلسطين.. بطلاً مولعًا بالمغامرة، له الجرأة الخارقة، العالم بمقدرته وكفاءته، وعنده اليقين كل اليقين بربه.

أدمى عيون اليهود كثيرًا، وأدخل الفزع الشديد والرعب في قلوبهم من مجرد سماع اسمه.. طبّق في قتاله.

❑ لن ينسى اليهود لأحمد عبدالعزيز معركة كفار ديروم الثالثة فقد أوقع بهم ضربة قاتلة وطبّق البطل حرب العصابات في معركته هذه «وأوقع باليهود في هذه المعركة خسائر فادحة. وبعد نصره الرائع في هذ المعركة، أخذ يضرب المستعمرات بمدفعيته دون أن يهاجمها، ويعترض طريق القوافل المصفحة ويبيدها عن آخرها، حتى أزعج اليهود إزعاجًا شديدًا، وحرّم عليهم التجول في صحراء النقب وكان مقدرًا لهذه الحركة نجاحًا رائعًا لولا أحداث جدّت على الموقف الحربي.

ورأى اللواء أحمد على المواوي قائد الجيش المصري أن يتولى أحمد

عبدالعزيز قيادة منطقة (بئر السبع) ـ على ألا يتجاوزها شمالاً ـ فيدافع بذلك عن مفتاح فلسطين الشرقي، ويوزع قوات العدو بين جبهتين واسعتين، ويحمي ميمنة الجيش المصري من خطر الالتفاف.

وقبل أحمد عبدالعزيز هذا الرأي فجمع قواته واخترق بهم صحراء النقب مارًّا بمستعمرة «العمارة» حيث ضربها بمدفعيته في ١٧ مايو، ودخل بئر السبع حيث قابله السكان مقابلة رائعة. ولم يكد يستقر بها حتى بدأ أول حركاته بضرب مستعمرة (بيت إيشل) الحصينة، ثم شرع في توزيع قوته على هذه المنطقة. فأرسل جزءًا بقيادة البكباشي «زكريا الورداني» ليحتل «العوجة» و«العسلوج» العربيتين. وأبقى جزءًا آخر بقيادة اليوزباشي «محمود عبده» ليتولى الدفاع عن مدينة (بئر السبع) ومنطقتها.

أما هو فقد اتخذ قيادته في المدينة، وأخذ يرسم الخطط لمهاجمة اليهود في كل مكان في الصحراء. وجاء وفد من مدينة الخليل في ١٩ مايو، وقابل أحمد عبدالعزيز والتمس منه إرسال جزء من قواته للاشتراك مع الجيش الأردني في الدفاع عن الخليل وبيت لحم. ووافق أحمد عبدالعزيز، وقرّر الزحف إلى الخليل وفي ٢٠ مايو زحف البطل على رأس قوة صغيرة تاركًا مهمة الدفاع عن مدينة بئر السبع ومنطقتها لليوزباشي «محمود عبده».

❑ وما فعله البطل محمود عبده ورجاله من الإخوان المسلمين تحت قيادة أحمد بن عبدالعزيز يوم ٧ مايو ١٩٤٨ باليهود يسجل له ولقائده بأحرف من نور.. وحصارهم المستعمرات، وإنهاك قوى اليهود بالغارت المتواصلة على مواصلاته ومراكزه، وبعثه بالدوريات المسلحة لتجوب الصحراء وتعترض طرق القوافل وترغمها على الفرار تاركة خلفها الكثير من الأسلحة ومعدات الحرب.

*** هزيمة منكرة لليهود في مستعمرة رامات راحيل في ٢٦ مايو ١٩٤٨م**

كانت مستعمرة «رامات راحيل» الواقعة على طريق بيت لحم ـ القدس مصدر خطر كبير على الجيش الأردني في بيت لحم، فرامات تقع على ربوة عالية، وتتحكم في الطريق الرئيسي الذي يصل بيت لحم بالقدس، فوق أن المدافعين عنها يمكنهم مراقبة القوات الموجودة ببيت لحم وإحصاء كركاتهم وسكناتها، لذلك توجه البطل أحمد عبدالعزيز لاقتحامها منذ هبط بيت لحم. وأرسل في ٢٤ مايو قوة من الإخوان بقيادة لبيب الترجمان لتقوم باستكشاف المستعمرة وكتابة تقرير واف عن تحصيناتها. وكانت خطة البطل أحمد عبدالعزيز أن تبدأ المدفعية بقصف الحصون والأبراج، ثم يزحف المشاة تحت غلالة من نيران المدفعية (الهاون) وقنابلها الدخانية، ثم تقوم جماعات الفدائيين من حملة ألغام (ألنجالور) لنسف العوائق السلكية وحقول الألغام.

وكان يوم ٢٦ مايو ١٩٤٨م يومًا من أيام فلسطين: لماجدة وجاس البطل أحمد عبدالعزيز برجال خلال أبنية المستعمرة وأبراجها، وفجر الرجال الابراج العالية، وعكفوا على تطهيرها وحين كان آخر يهودي يغادر المستعمرة هاربًا، كان صوت المؤذن يتهادى مع نسيم الفجر من أعلى قمة فوق أعلى برج. اللَّه أكبر.. اللَّه أكبر. أشهد أن لا رله إلا اللَّه.. أشهد أن محمدًا رسول اللَّه.. ورأى رجال اللَّه في المستعمرة ما أذهلهم من الخيرات والمؤن المكدسة؛ إذ كانت هذه المستعمرة هي مركز التموين الذي يشرف على إمداد المستعمرات الواقعة في جنوبي القدس. وكان عدد القتلى من اليهود في هذه المعركة كبيرًا للغاية إذ وُجِد تحت الردم ما يزيد على المائتين، عدا ما نجح اليهود في أخذه معهم عند انسحابهم، أما خسائر المسلمين فلم تتجاوز عشرة من الشهداء والجرحى.

❑ تولى البطل الدفاع عن «صور باهر»، وقد حدث في أوائل شهر

يونيو أن حلقت طائرة يهودية تحمل أسلحة وذخائر، وأردات إلقاءها على (رامات راحيل)، وكان الوقت ليلاً، ورأى أحمد عبدالعزيز أن المستعمرة تطلق إشارات حمراء لتدل الطائرة على موضعها، فما كان منهم إلا أن أطلقوا إشارات حمراء مشابهة، فاختلط الأمر على الطائرة وألقت حمولتها فوق (صور باهر) وكانت صناديق ضخمة مليئة بأجزاء المدافع وأنواع الرشاشات الحديثة والأدوية الثمينة.

❑ أرسل اليهود قوة من جنودهم هاجمت الجيش الأردني في مقر قيادته في «دير مار إلياس» واضطرته لإخلائه، وكان هذا الدير يقع على مقربة من (صور باهر) وكان احتلال هذا الدير يؤثر تأثيرًا بالغًا في موقف المرابطين في بيت لحم، فلم يجد أحمد عبدالعزيز بُدًّا من معاودة احتلاله، وتقدمت قوة بقيادة المجاهد «حسين حجازي» تعاونة قوة من جيش الجهاد المقدس الفلسطيني بقيادة المجاهد جاد اللّه، وهاجمت اليهود على غرة واضطرتهم للأنسحاب موقعة بهم كثيرًا من الخسائر.

❑ وأرسل البطل أحمد عبدالعزيز قوة إلى مستعمرة (تل بيوت) التي دأبت على إطلاق النيران من برجها الضخم وتسبب ذلك في كثير من الخسائر والأضرار، وأصدر البطل أمره إلى البطل حسين حجازي ليتولى تدمير هذا البرج الخطير، وفي ليلة ٤ يونيو زحف حسين وإخوانه أربعة كليو مترات تحت تهديد الرصاص والحيات الزاحفة بين الأحجار، وقرب الفجر سمعت بيت لحم انفجارًا مدويًا وشهدت ثلاث حصون من «تل بيوت» وبرجها الضخم الذي تهاوى وصنع من تراكمه قبرًا كبيرًا يضم نخبة كبيرة من رجال الهاجاناة.

* * *

*** أكبر خطيئة في تاريخ الحروب قبول الجيوش العربية للهدنة ليفلت مائة ألف يهودي محاصرون بالقدس من إبادة محققة:**

«حينما حاصر المجاهدون من مصر وسورية وفلسطين وشرق الأردن مائة ألف يهودي بالقدس وقد طلب اليهود التسليم بدون قيد أو شرط؛ لأنه قد مُنع عنهم الطعام والماء الذي كان يصلهم من رأس العين، استغاث اليهود بأبناء أوربا وتجاوبت معهم اليهودية العالمية وأوربا الصليبية، واستصدروا قراراً من مجلس الأمن بفرض هدنة مدتها أربع أسابيع بين اليهود والعرب اعتباراً من ٢٩ مايو ١٩٤٨ يتوقف أثناءها القتال، وكان الهدف من ورائها انقاذ يهود القدس وغيرهم من هلاك محقق إن لم يتم التسليم، مع تمكن اليهود من جلب مزيد من الأسلحة الثقيلة والذخائر.

وكان على الأنظمة العربية أن لا تقبل الهدنة، وخاصة أن المجاهدين يمسكون بعنق العدو، ولكن الخيانة كانت تلعب دورها، وكما ذكر أحد المؤرخين، وتحت تهديد توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الأردن[1] قبلت الأنظمة العربية الهدنة ووقف إطلاق النار من جانبها دون قيد أو شرط، وكان ذلك اعترافًا فعليًّا من الأنظمة العربية بقيام الدولة اليهودية.

❑ وفي ٢٣ من حزيران ١٩٤٨م كلّف القائد أحمد عبدالعزيز البطل معروف الحضري باحتلال مواقع أمامية في مواجهة اليهود منها (بيه إلياس) وقام باحتلال مواقع أخرى أمامية».

قال وكيل القنصل الأمريكي بالقدس: «إن قرار مجلس الأمن الذي فرض الهدنة الأولى في ٢٩ مايو ١٩٤٨، هو وحده الذي خلّص اليهود وحال دون سحقهم على أيدي الجيوش العربية»[2].

(١) «جهاد شعب فلسطين» (ص٤٠٥).

(٢) «جهاد شعب فلسطين» (ص٣٨٩، ٤٠٦).

❑ وقال عبدالله التل: «لقد وافق أعضاء اللجنة السياسية بالجامعة العربية على الهدنة بدون قيد أو شرط، وهي أكبر خطيئة في تاريخ الحروب بالشرق العربي، حيث فُكّ حصار القدس، وأنقذ مائة ألف يهودي كانوا على وشك التسليم»[1].

❑ لم تقف فائدة الهدنة لليهود عند حدّ جلب السلاح والعتاد فحسب، ولكنها كانت وسيلة لاحتلال المواقع الهامة، إذ أن أغلب المراكز الخطيرة لم تستطع اليهود احتلالها إلا بهجمات غادرة قاموا بها خلال الهدنة.

وهاجم اليهود قرية العسلوج واستولوا عليها في أول يوم الهدنة، وكان احتلال هذا الموقع يعني قطع مواصلات الجيش المصري في الجبهة الشرقية مما دعا قيادة الجيش المصري إلى تنظيم خطة لاسترداده، وفي اليوم التالي تحركت قوة كبيرة من الجيش النظامي تعاونها المدفعية والسيارات المدرعة ولكنها فشلت في الاقتراب من القرية، لاستماتة العدو في الدفاع عنها.

فاستنجدت القيادة العامة بالبكباشي أحمد عبدالعزيز، ووضع البطل خطته وتولى تنفيذها رجاله من متطوعي الإخوان وعلى رأسهم اليوزباشي محمود عبده قائد متطوعي الإخوان في (صور باهر) واسترد الرجال هذا الموقع.

❑ يقول القائد العام للقوات المصرية في فلسطين اللواء أحمد محمد علي المواوي في شهادته أمام القضاء في «قضية سيارة الجيب»..:

«العسلوج بلد تقع على الطريق الشرقي، واستولى عليها اليهود في أول يوم الهدنة، ولهذا البلد أهمية كبرى بالنسبة لخطوط المواصلات، وكانت

(١) «جهاد شعب فلسطين» (ص٣٨٩).

رئاسة الجيش تهتم كل الاهتمام باسترجاع هذا البلد حتى أن رئيس هيئة أركان الحرب أرسل إليّ إشارة هامة يقول فيها: (لابد من استرجاع العسلوج بأي ثمن) فكانت الخطة التي رسمتها لاسترجاع هذا البلد هي الهجوم عليها من كلا الطرفين من الجانبين، فكلفت المرحوم[1] أحمد عبدالعزيز بإرسال قوة من الشرق من المتطوعين وكانت صغيرة بقيادة ملازم، وأرسلت قوة كبيرة من الغرب تعاونها جميع الأسلحة، ولكن القوة الصغيرة هي التي تمكنت من دخول القرية والاستيلاء عليها.

ولما سأله المحامون عن السبب في تغلب القوة الصغيرة أجاب:

«القوة الغربية كانت من الرديف، وضعفت روحهم المعنوية بالرغم من وجود مدير العمليات الحربية فيها إلا أن المسألة ليست مسألة ضباط، المسألة مسألة روح، إذا كانت الروح طيبة يمكن للضابط أن يعمل ما يشاء، ولكن إذا كانت الروح ميتة لا يمكن للضابط أن يعمل شيئًا، لا بد من وجود الروح المعنوية». وكان هذا الملازم هو المجاهد «يحيى عبدالحليم فللّه دره ودر قائده أحمد عبدالعزيز.

* البطل أحمد عبدالعزيز ورجاله يلقنون اليهود الدروس القاسية:

خلال الهدنة جمع أحمد عبدالعزيز قوّاته المبعثرة وحشدها في بيت لحم، وأمدته القيادة العامة المصرية ببعض الأسلحة والذخيرة، وزودته بعدد من الجنود، فأخذ يحصن نفسه داخل المدينة، وأقام خطًا دفاعيًا حولها يمتد من (صور باهر) إلى (كرمزان) مارًّا بقرى (مار إلياس) و(بيت صفافا) و(شرفات) و(الولجا)، وكان رجاله من الإخوان والمتطوعين خير الرجال أثبتوا

(١) يُقال ـ رحمه الله ـ ولا يقطع بالرحمة في الآخرة ودخول الجنة لأحد: أسأل الله أن يتقبل هذا البطل في شهداء المسلمين.

مقدرتهم الفائقة على الدفاع والتحصين، وكانت مواقع (صور باهر) الحصينة وما أقيم بها من خنادق و(دشم) نحتت ببراعة في الأرض الصخرية الصلبة، تشهد بعظم الجهد الذي بذله الرجال لتحصين هذه القرية العربية والاحتفاظ بها حتى آخر مراحل القتال رغم الهجمات المتوالية التي شنّها العدو، وحاول فيها احتلالها ليضع القوات المرابطة في بيت لحم والخليل كلها تحت رحمته.

وكانت أولى المحاولات التي قام بها العدو هي إقدامه على محاولة احتلال مرتفعات جبل المكبر في ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٨. وجبل المكبر الواقع إلى الجنوب الشرقي من القدس القديمة مرتفع منيع يستطيع من يحتله أن يهيمن على القدس كلها، ويقطع الطريق الرئيسي الذي يصلها بعمان، فوق هذا يتحكم في القوات المتطوعة التي ترابط في جنوب القدس. وكان هذا المرتفع إحدى حلقات الدفاع التي يتولاها الإخوان المسلمون المرابطون في قرية صور باهر تحت القيادة العامة لأحمد عبدالعزيز، ونائبه في صور باهر محمود عبده.. وبدأت جموع اليهود تتحرك في الساعة الثامنة من مساء ١٨ أغسطس من أحياء القدس اليهودية ومن المستعمرات الواقعة في جنوبها، تحرك اليهود في سكون غير أن نقط المراقبة الأمامية فطنت لهذه الحركة.. ودار قتال عنيف، واستمات اليهود ليحتلوا هذا الموقع، وكان طريق الإمداد مفتوحًا على مصراعيه، وكانت أولى الخطوات التي أقدم عليها المجاهد محمود عبده أن أمر فصيلة من جنوده فدارت إلى اليمين واقتربت من الطريق الذي يستخدمه العدو في تحركاته وأخذت تطلق النار على القوافل التي تتحرك صوب المعركة، وفي نفس الوقت كان يصدر أمره للمدافعين عن الجبل بالانسحاب إلى الوراء، فظن العدو أن المقاومة قد انتهت، فتقدم ليحتل المواقع التي أخلاها المجاهدون وفي نفس الوقت كانت أفواه المدافع تنفتح من كل صوب وتقذف كتلاً من اللهب على قمة الجبل، ولم يكن لليهود ما يحتمون فيه، فقُتل عدد كبير من اليهود وتراجعوا في ذعر وارتباك. وكان

يومًا عظيمًا من أيام فلسطين، وأصيب فيه قائد الموقع المجاهد محمود عبده وتولى القيادة من بعده المجاهد لبيب الترجمان للَّه درهم جميعًا.

*** البطل أحمد عبدالعزيز مفخرة الجيش المصري والعسكرية المصرية يفاوض بعزة المسلم وفطنته:**

❑ أخذ اليهود يتسللون فرادى إلى المنطقة الحرام ودار الحكومة حيث يوجد بعض مراقبي الهدنة ورجال هيئة الأمم وفطن الإخوان للأمر فتابعوهم إلى هناك، وضربوا حصارًا محكمًا حول دار الحكومة وهددوا بتدميرهم، مما اضطر رجال هيئة الأمم إلى الاستغاثة بالبكباشي (أحمد عبدالعزيز) الذي جاء لتوه، واستجاب لرغبة مراقبي الهدنة بوقف إطلاق النار، ولكنه أصر على احتلال مرتفع يدعى (رأس الأحرش) يشرف على دار الحكومة والحي اليهودي بالقدس. وبذلك أصبح الإخوان خطرًا شديدًا يهدد القدس الجديدة واتخذوا من هذا الموقع نقطة يراقبون منها حركات اليهود وسكناتهم.

وحاول اليهود في اليوم التالي القيام بهجوم كبير على نفس هذه المواقع أملاً في احتلالها ورد اعتبارهم بعد هزيمة الأمس، ولكن يقظة الإخوان واستماتتهم في الدفاع وقفت سدًّا منيعًا دون وصولهم لهذه الغاية، مما اضطرهم إلى التراجع في ذلة وانكسار؛ وكانت خسائرهم في هذه المرحلة تتجاوز المائتين حسب تقدير مراقبي الهدنة عدا فقدانهم لجميع الأسلحة والمعدات التي دفعوا بها في هذه المعارك.

بدأت بعد هذه الفترة مرحلة مفاوضات طويلة لتخطيط حدود المنطقة الحرام، وكان أحمد عبدالعزيز فخورًا بجنود الإخوان وبما أحرزوه من انتصار رائع، مما جعله يملي إرادته على اليهود ويضطرهم للتخلي عن منطقة واسعة مهددًا باحتلالها بالقوة، وكانت المفاوضات تدور في مقر قيادة الجيش العربي بالقدس ويحضرها الكولونيل (عبداللَّه التل) القائد العربي في المدينة

المقدسة»[1].

* **وسقط البطل أحمد عبدالعزيز أبرز شخصية عسكرية أنجبتها المعارك على ثرى فلسطين:**

وحين انتهت المفاوضات في ليلة ٢٢ أغسطس أراد أحمد عبدالعزيز أن يحمل نتائجها إلى القيادة المصرية العامة في (المجدل) وأصر على أن يذهب في ليلته، وكانت المعارك في ذلك الحين تدور بشدة على الطريق المؤدي للمجدل مما جعل ضباطه يلحون عليه في التريث وعدم الذهاب، ولكنه قطع هذه المحاولات حين قفز إلى سيارته (الجيب) وهو يردِّد: ﴿**قل لن يصبنا إلا ما كتب الله لنا**﴾ وانطلقت السيارة في طريق المجدل، ولم يكن معه إلا اليوزباشي (الورداني) واليوزباشي (صلاح سالم) من ضباط رئاسة المواوي، وسائق سيارته.

وكانت «عراق المنشية» في ذلك الحين تستهدف لهجمات متواصلة مما دعا القيادة العامة إلى منع السير على هذا الطريق بالليل.

وما أن وصلت السيارة إلى مواقع عراق المنشية حتى صاح الحارس يأمر السيارة القادمة بالوقوف، ولكن سوء الحظ تدخل هذه المرة، إذ ضاع صوت الحارس في ضجيج السيارة فأطلقت نقطة المراقبة النار، وتدخل سوء الحظ مرة أخرى حين أصابت أول رصاصة البكباشي (أحمد عبدالعزيز) في جنبه، وحمله مرافقوه إلى عيادة طبيب بمدينة (الفالوجا) ولكن قضاء الله سبقهم إليه، فصعدت روحه إلى بارئها.

ولم يكد الخبر يذاع على الناس حتى عم الوجوم الجميع، وبكاه كل فرد في الجيش، وكان أكثر الناس حزنًا عليه وألمًا لفراقه أولئك الجنود الذين

(١) «الإخوان المسلمون» (ص ١٠٠).

زاملوه في الميدان وقاسموه مرارة الهزيمة ونشوة النصر، ونعته وكالات الأنباء ومحطات الإذاعة العالمية وأسف لفقده الحلفاء والأعداء، ونعوه للناس بمزيد الإعجاب والإكبار، وبموت أحمد عبدالعزيز طويت صفحة من أمجد صفحاتنا العسكرية، وأفل نجم لامع كان في سمع الناس وبصرهم، وخلا بذلك مكانه في الميدان، وصعدت روحه الطاهرة لتحتل مكانًا مرموقًا في ملكوت اللّه وجنته ورفع اسمه من كشوف الجيش المصري ليحفظ في سجل التاريخ، كأبرز شخصية عسكرية أنجبتها حرب فلسطين.

* كيف قتل الشهيد البطل أحمد عبدالعزيز فخر العسكرية المصرية والجيش المصري؟

نشرت الأهرام بعددها الصادر يوم ٢٢ من إبريل ١٩٨٤ في صفحتها الخامسة مقالاً للضابط محمد حسن التهامي نائب رئيس الوزراء برئاسة الجمهورية توضيحًا لمقتل البطل أحمد عبدالعزيز الذي سبق الحديث عنه في هذا الكتاب، فقال تحت عنوان: «إخلاء الأرض من أقوى عناصر في مواجهة اليهود»:

«استدعت القيادة المصرية بأوامر من القاهرة البطل أحمد عبدالعزيز ليترك الجبهة التي كان يسيطر عليها تمامًا بقواته لينزل إلى القاهرة عبر قيادة القوات المصرية في المجدل للقاء هام مع القيادة السياسية في مصر، ومع الملك فاروق نفسه كما قيل. وكان أحمد عبدالعزيز في حالة من الغضب لما يجري من تواطؤ في هذه الحرب لصالح إسرائيل، ونزل في ذلك اليوم المشهود في سيارة جيب يقودها الصاغ صلاح سالم (الرائد) حاليًا بجواره، ومن خلفهما الجندي السائق. وأثناء دخول أحمد عبدالعزيز إلى مواقع الكتيبة السادسة مشاة في عراق المنشية والتي كان جمال عبدالناصر أركان حربها، قُتِلَ أحمد عبدالعزيز في سيارته برصاصة أصابته وحده. ووصل إلى المجدل

حيث فارق الحياة، ولم يتم لقاؤه بالقيادة السياسية في مصر. واختفى عن مسرح العمليات العسكرية التي كان يعمل لها موشى ديان ألف حساب، ويخشاها أكثر من خشيته لكل القوات العربية المقاتلة في فلسطين عام ١٩٤٨م. فهل كان استدعاؤه مصادفة؟ أو إبعاده عن ميدان القتال مصادفة؟ ثم استشهاده على هذا الحال ـ إن لم يكن هذا كله حلقة من حلقات الحرب».

❑ يقول الأستاذ حسن الجمل في كتابه «جهاد الإخوان المسلمين في القناة وفلسطين»: تحت عنوان «كلام خطير»: «خطب فينا القائد: أحمد عبدالعزيز في أحد الأيام قائلاً: «أنتم خير شباب مصر وخير رجالها، ولا بد من تحرير البلاد الإسلامية من كل أجنبي».

وكان يوجد أحد رجالات المخابرات المصرية...».

هذه صفحة ناصعة من جهاد البطل ورجاله وكيف سقط.. ونسأل اللَّه أن يتقبله في عداء الشهداء.

*** الشيخ أبو الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية (١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م) وأميرها بالقارة الهندية يصدع بالحق في أمور الحاكمية والصوفية ونبذ القومية والضرورة الحتمية للدينونة للتشريع الإسلامي:**

ولد الأستاذ المودودي عام ١٩٠٣م في إحدى مدن ولاية حيدر أباد الدكن من شبه القارة الهندية.

«وهو مؤسس الجماعة الإسلامية بالقارة الهندية وأميرها. وكان كاتبًا مجيدًا، وصحفيًا ناجحًا، بارعًا في الأسلوب، لبقًا في الأداء، موفقًا في عرض الحلول للمشاكل الناجمة في المجتمع، ومبدعًا في تقديم الإسلام إلى غير المسلمين في الأسلوب العصري المتزن.

قام بتشكيل الجماعة الإسلامية سنة ١٩٤١م، وأصدر مجلة «ترجمان

القرآن»، وألف في التفسير والحديث، والتعليم والتربية والسياسة والقانون، والاقتصاد والاجتماع والدفاع عن الإسلام. وردّ في كثير من كتاباته علي الحضارة الغربية المزيّفة، والأفكار الإلحادية المستوردة، والحركات الهدّامة المعاصرة، ونقلت بعض كتبه إلى كثير من لغات العالم الحية.

وكذلك حذّر المسلمين من وخيمة الشرك والقومية، والتقليد الأعمى، والتصوف. وبذل جهداً مشكوراً مع الجماعات الأخرى في تدوين الدستور الإسلامي في باكستان، وتطبيق الشريعة»[1].

يقول الأستاذ محمد المجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» (٦/٢):

«لعلي لا أجانب الواقع إذا قلت إن أبرز سماته ذلك الوقار الذي يجلله كله، حتى مشيته ونظراته ولهجته، فيذكرك بقول عبدالله بن المبارك في إمام المدينة:

يأبى الجواب فما يراجع هيبةً ... والسائلون نواكس الأذقان
عز الوقار ومجد سلطان النهى ... فهو المهيب وليس ذا سلطان

ولم يطل لقاؤنا يومئذ ومضيت، ثم لم أره بعد ذلك، بيد أني لم زفارق أفكاره التي تغنيني عن الاجتماع بشخصه وظللت أتتبع أخبار النضال الذي ما ينفك يخوضه في سبيل تثبيت الطابع الإسلامي على الدولة، التي ما كان لها أن تكون لولا الإسلام.. إلى أن توفاه الله يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٧٩».

*** إلى الصحافة:**

ألقى عصا التسيار وهو لم يتجاوز السابعة عشرة في مدينة «بجنور» بعد

(١) «روابع في وجه السنة قديمًا وحديثًا» للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد (ص١١٧) ـ دار ابن الأثير ـ الكويت.

وفاة والده وعمل في مجلة أسبوعية في المدينة نفسها. «والظاهر أن الدافع له إلى إيثار هذه المجلة هو التزامها (حركة المحافظة على الخلافة الإسلامية) وقد انتفع بموهبته الإنشائية فجعل يكتب لها الافتتاحيات اللاهية في موضوع الخلافة، الذي كان مشغلة نفوس مسلمي الهند في ذلك العهد، ولم يكتف بنصرة الحركة عن طريق الكتابة فقط بل جعل يقتطع من أجوره ما يتبرع به لصندوقها.

وفي هذا الجو المتأجج بالحماسة الإسلامية ألّف اثنين من أوائل كتبه، أحدهما (النشاطات التبشيرية في تركية) والثاني بعنوان (مجازر اليونانيين في سمرنا) وفي هذين العنوانين ما يكفي لتصوير قلق مسلمي الهند على إخوانهم في تركية، التي كانت ترزح أثناء ئذٍ تحت كابوس الاحتلال الصليبي، وتعاني من عدوان اليونانيين على مناطقها التي أغرقوها بدماء الأبرياء.

وفي العنوانين إلى ذلك دلالة أخرى على ما في قلب هذا الفتى، الذي لم يتجاوز السابعة عشرة بعد من تفاعل مع أحداث العالم الإسلامي، وبخاصة في دولة الخلافة، التي كانت، على ضعفها الذي أطمع بها أعداء الإسلام، مطمح أنظار المسلمين على تباعد أقطارهم، والمركز الذي يستقطب مشاعرهم الروحية، فيؤلف قلوبهم حول الخليفة الذي يعتبر الرمز المقدس لوحدة العالم الإسلامي..

*** الطريق إلى القمة:**

ولقد كان لاتصال المودودي بحركة الخلافة، ولمقالاته البليغة في نصرتها، أثر شد أبصار الشخصيات السياسية إليه ودفعهم إلى تقدير مواهبه. وفي رحلة إلى دهلي اجتمع باثنين من أكابر جمعية علماء الهند المتعاونين مع غاندي في نطاق النضال ضد الاستعمار البريطاني، وكانا من المعجبين بكتاباته المثيرة، وأسلوبه الأخّاذ، وعن طريق هذين العالمين الكبيرين توثقت صلته

بجمعية العلماء، حتى أسندت إليه رئاسة التحرير لأول صحيفة أصدرتها باسم (المسلم) عام ١٩٢١ وفي عام ١٩٢٤ أصدرت صحيفة أخرى باسم (الجمعية) وأسندت إليه كذلك أمر تحريرها، وقد استمر في عمله ذاك إلى عام ١٩٢٨م.

وكفى بهذا دليلاً على ما بلغه المودودي الشاب من مكانة في أوساط أهل العلم والعاملين في ميدان القضية الإسلامية وحركة التحرير الوطنية جميعًا. جعلته موضع الثقة من أفاضل العلماء وكبار الساسة.. وهي ثقة من شأنها أن تفسح السبيل لمستقبل أبعد وأعمق.

ثم لا ننسى أن عمله في الصحافة قد أتاح له الاطلاع على خفايا الأحداث وأنواع النفوس، وفي ذلك زادٌ لا غنى عنه للرجل الذي يعده القدر للإسهام في قيادة الفكر الإسلامي على المستوى العالمي..»[1].

*** مزيد من الثقافة:**

ودهلي في الهند كالبصرة في دولة بني العباس، ملتقى الثقافتين الغربية والإسلامية، فلا معدي للرجل الطُّلَعَة، ذي النهم الذي لا يخمد إلى المعرفة، من الانتفاع بهذه البيئة إلى أقصى الحدود، وكذلك فعل صاحبنا، فأقبل على تكثيف معرفته العربية بدراسته علوم البلاغة والأدب على أحد المختصين في ذلك البلد، وقرأ أمهات من كتب الحديث على آخر من المشهورين بهذا الفن، واغترف ما أمكنه من التفسير والفقه والمنطق من أحد كبار علماء ذلك البلد..

ولم يغفل أمر العلوم العصرية فتعلم الإنجليزية على أحد أساتذتها في أربعة أشهر، وعن طريق الإنجليزية أطل على الكثير من علوم الغرب كالتاريخ

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٩).

والفلسفة والعلوم الاجتماعية، وبذلك أتيح له أن يعلم من مواضع التلاقي والافتراق بين الثقافتين، ما لم يكن ليحيط به لولا هذا التضلع الذي وفقه الله إليه.

وفي هذا الغمار من الكتابة في شئون المسلمين، والدراسة المتصلة لمختلف الفنون والعلوم، تمكن المودودي من إخراج كتابين آخرين أحرزا الكثير من الإعجاب والرواج، وهما (مصدر قوة المسلم) و(الجهاد في الإسلام).. وقد نشرهما أولاً حلقات متسلسلة في جريدة الجمعية ثم أخرجهما في طبعتين مستقلتين.

وكان لهذا التوسع الثقافي أثره العميق في نفس الأستاذ المودودي، إذ تحصل لديه من العلم ما أتاح له أن يُكَوِّنَ تصوراً متكاملاً عن الإسلام، يختلف عن المفهوم الذي جمد عليه المشايخ التقليديون. وكان لكل من الكتابين على وجه الخصوص أثره الفعال في عقل مؤلفه، إذ كان عليه أن يراجع الكثير من المصادر، ليستمد منها الركائز الأساسية للموضوع الذي يزمع كتابته، فيستكشف أثناءئذٍ من الحقائق ما لم يقع عليه من قبل، وبذلك تتسع مساحة أفكاره، وتمتد أشواطه خلالها، حتى بلغ كل من الكتابين الحجم الذي لم يتصوره.. وتولى طبع كتاب الجهاد للمرة الأولى العلامة الإسلامي السيد سليمان الندوي في خمسمائة صفحة من القطع الكبير، وبلغ من إعجاب شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال بهذا الكتاب أن جعل ينصح للشباب المسلم باقتنائه والانتفاع به.. بل إن الأستاذ المودودي نفسه يرحمه الله يقول عنه: (إن كتاب الجهاد نفعني أكثر من أي قارئ له، فقد بدأت تأليفه وأنا على حمية القومية، وفرغت منه وأنا على حمية الإسلام.. حتى لقد آليت ألا أعود إلى ممارسة الصحافة في المستقبل إلا على أساس أن أجعلها وسيلة لخدمة الإسلام[1].

(١) بتصرف عن كتاب الحامدي (ص١٨).

* في طريق الدعوة:

وتحت هذا التأثير الفكري قرر الأستاذ أجزل اللَّه أجره أن يقف حياته على الدعوة إلى اللَّه، ولكنه على أتم القناعة بأن الإقدام على هذه المهمة يقتضي استعدادًا خاصًا من الزاد العلمي يتناسب مع مستوى العصر.. هذا العصر المليء بالأفكار والتيارت المذهبية مما لم يسبق له مثيل حتى في العصور العباسية.

وهكذا انقطع الفتى إلى المطالعة الواسعة العميقة، مكتفيًا من العمل الدنيوي بالقليل الذي يكفُّه عن الحاجة، لينصرف بكل طاقته إلى الدعوة عن طريق مجلته (ترجمان القرآن) وقد صور لنا مدى تصميمه بالكلمة التالية التي افتتح بها العدد الأول منها:

«إن هذه المجلة تضع قدمها اليوم في طريق محفوف بالمصاعب والمحن، ويتولى عبئها رجل يعترف بأنه ضعيف فاقد القيمة صفر اليدين. ولكنه على الرغم من وعورة الطريق استعد لحمل هذا العبء يقينًا منه بأن اللَّه الذي نور قلبه بالإسلام، وخلق في نفسه حب الدعوة إليه، هو الذي سوف يؤازره بنصر من عنده، ويمنحه الرسوخ في العلم، والصحة في الفكر، والسلامة في القلب، والطهارة في النفس، والسمو في الروح[1]..».

وبهذه العزيمة الفذة يمضي الشاب الفقير الأعزل، إلا من سلاح الإيمان والرؤية الواضحة والتصميم الحاسم، في طريق الدعوة التي وهب لها نفسه، ووقف عليها مجلته التي لم يكن لها مؤنس سواه، فهو مديرها ومحررها، ومصحح طبعاتها والساعي الذي يحملها إلى البريد.. والمجيب على كل

(١) المصدر السابق (ص١٩).

استفسار يتعلق بها.. فمن أجلها يسهر الليالي يطالع ويكتب إلى صلاة الفجر، ومن أجلها يتحمل شظف العيش حتى لتأتي عليه أيام لا يتاح له من الطعام إلا العدس والماء[1]..

وعلى غلاف المجلة كتب عهده للقراء بأن «غايتها إعلاء كلمة اللَّه والدعوة إلى الجهاد في سبيله، ووسيلتها إلى ذلك نقد الأفكار المنحرفة ومبادئ الحضارة الغربية بمحك القرآن، ثم عرض المبادئ التي جاء بها كتاب اللَّه وسنة رسوله في كل مجال من الفلسفة والعلوم والسياسة والاقتصاد والاجتماع.. إن هذه المجلة تدعو الأمة المسلمة إلى حياة جديدة، وخلاصة دعوتها: أيها الناس. اجعلوا قلوبكم وأذهانكم مسلمة خاضعة للَّه، وتخلوا عن نظم الجاهلية واسلكوا صراط اللَّه المستقيم، وخذوا كتاب اللَّه بالقوة لتكونوا سادة العالم وأئمة الحضارات».

وسرعان ما انتشرت هذه الأفكار في مواطن المسلمين على مدى القارة، كما ينتشر شعاع الفجر في ليل كثيف الظلمات.. وأخذت كلماته سبيلها إلي القلوب والعقول تتداولها وتتأملها وتتفاعل معها..

*** المودردي وإقبال:**

لعل أبرز نقاط التلاقي بين العملاقين هي إيمان كل منهما بعظمة الإنسان المسلم، واحتقارهما للضعف الذي مسخ ذاتيته في أتُّون النوائب، التي أطبقت عليه في كل مكان من وطن الإسلام، فكان من الأهداف الفكرية لكل منهما إيقاظ تلك الذوات المخدَّرة، وإعادة الثقة بالنفس إليها، وبعث وعيها لحقائق هذا الدين، التي غيرت مسيرة الإنسانية من قبل، وهي على أتم الاستعداد لتغييرها من بعد..

(١) المصدر السابق (ص٢٠) انظر «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ١٢).

وأحس شاعر الإسلام إقبال من خلال مقالات المودودي في «ترجمان القرآن» قوة الوشائج التي تجمع بينهما، فكتب إلى صديق له في حيدر أباد ليبلغه رغبته في مقابلته، فلم يتلبث حتى شخص لزيارته في لاهور.. وكان لقاء ضاعف من قوة تلك الوشائج، إذ وجد كل منهما أفكاره في صدر صاحبه وتم الاتفاق بينهما على أن ثمة ركيزتين أساسيتين لا نجاح بدونهما: إحسان العرض لعظمة النظام الإسلامي بالأسلوب العلمي المقنع، وإعداد الرجال الذين يصلحون لقيادة المسلمين فكراً وعملاً..

واستجاب الأستاذ لاقتراح إقبال بالهجرة إلى البنجاب، التي تعتبر مهد الحركات والدعوات والتيارات الفكرية، واتخذ فيها موطنه منذ ذلك العهد، بيد أن الأجل سرعان ما وافي الشاعر العظيم، فحرمه القدر الحكيم فرصة التعاون مع ذلك القلب الموَّار بنور الإيمان وهدايته.. وسجل المودودي مشاعره بإزاء هذه المصيبة في قوله: «فقدت أكبر سند في الدنيا بموت هذا الرجل العظيم..»[1].

وكان على المودودي أن يستفيد من جو لاهور العلمي فاستجاب لدعوة كلية «حماية الإسلام» وشرع في العمل بها محاضراً دون أجر لمدة عام.. ومن ثم اتجه إلى العديد من المدن يلقي فيها المحاضرات على الطبقات المثقفة، فكان منها واحدة في قاعة بلدية لاهور بعنوان «الجهاد في سبيل اللَّه» وأخرى في «مجلس الأخوة الإسلامية للطلبة الجامعيين» بلاهور أيضًا، ثم محاضرتان بعنوان «منهاج الانقلاب الإسلامي» و«معضلات الإنسان الاقتصادية وحلها في الإسلام» ألقاهما في جامعة عليكره عام ٤٠ و٤١ ثم أخرى في «دار العلوم لندوة العلماء» بعنوان «منهج جديد للتربية والتعليم» وواحدة بعنوان «الإسلام والجاهلية» في «مجلس الدراسات الإسلامية» بالكلية الإسلامية في بشاور.

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ١٢ ـ ١٣).

* الجماعة الإسلامية:

«والمتحدث عن الإمام المودودي ملتزم بأمرين اثنين أحدهما أفكاره التي انعكست في مقالاته ومؤلفاته الموسوعية والثاني هو الجماعة التي أراد أن يجعل منها مجالاً حيًا لتطبيق مخططه في تكوين الرجال المؤهلين لحمل رسالة الإسلام، وقد شاء اللَّه أن يخلِّد أعمال هذا الرجل، فحفظ أفكاره وجعل منها منارة تستمد من أنوار الوحيين، كما يستمد القمر من ضوء الشمس فينقل عطاءها للناظرين.

لقد آمن المودودي بطريقة إمامه وقائده المصطفى، صلوات اللَّه عليه وسلامه، القائمة على الجمع بين التربية والتعليم جميعًا، كما وصفها كل من عثمان وابن مسعود وابن عمر، عليهم رضوان اللَّه، بما مؤداه: «كنا نتعلم الآي من كتاب اللَّه فلا ننتقل منها إلى غيرها حتى نتعلم العمل بها» فكان من ثمرات ذلك الإيمان أنه لم يكتف بالعلم يبثه في الكتب والصحف، فأقام لترجمته ذواتًا تحمل طابعه، وتمثل معالمه في سلوكها وسائر تصرفاتها.. وهكذا نشأت الجماعة الإسلامية، التي على الرغم من انقسام القارة إلى دولتين، وتجزئها أخيرًا إلى ثلاث جماعات، فقد احتفظ كل منها بطابعه الإسلامي الراسخ الرصين.

وقد تم أول اجتماع لتأسيس هذه الجماعة عام ١٩٤١ وبعد الاتفاق على نظامها الأساسي أعطى كل من أعضائه الخمسة والسبعين عهده بتنفيذ ذلك الميثاق ذي الفقرات الثماني عشرة، الشاملة المحددة لهويتها الإسلامية.. مجددًا ولاءه لكتاب اللَّه وسنة رسوله ومؤديًا شهادة التوحيد في خشوع المتأمل في أبعادها المدرك لعظيم تبعاتها.. وكان من أوائل التزاماتهم لمبادئ الجماعة انسحاب كل موظف بينهم من خدمة الحكومة البريطانية والوقوف في سائر تصرفاتهم عند حدود الشريعة المطهرة، ورفض محاميهم المرافعة أمام

المحاكم التي تقضي بغير ما أنزل اللَّه[١] .

والمتتبع لأعمال هذه الجماعة يتبين أنها تنظيم غير مسبوق يتناول بأنشطته سائر جوانب الحياة، من تعليم وتعاون واقتصاد، وتنمية وسياسة، وطاقات بشرية تشمل الأستاذ والطبيب والتاجر والطالب والفلاح والنساء والرجال على السواء..

وقد يقف المتأمل في هذا التنظيم وهو يتذكر نظيره الذي قام بمصر على يد الإمام حسن البنا وإخوانه، في نفس الفترة من حياة العالم الإسلامي، فيتساءل: أيهما الذي اقتبس من الآخر؟!. كما يقف مشدوها أمام التلاقي الماثل بين أفكار المودودي والشهيد سيد قطب، دون أن يستطيع فصلاً تامًا بين المؤثر والمتأثر»[٢] .

* أتون المحن المتلاحقة:

بعد تقسيم الهند وقيام الباكستان باسم الإسلام، تكاثفت المشكلات، وتحركت الأهواء يريد كل منها أن يفرض نفسه على المجتمع الجديد.

وأخطر هذه المشكلات هو في اضطراب الرؤية عند الساسة الذين قادوا حركة الانفصال، فهم يتكلمون عن دولة إسلامية، ويتحدثون عن مميزاتها القومية، ولكنهم لايملكون أي فهم لمضمون الإسلام، من حيث كونه نظامًا مستقلاً بذاته عن كل نظام آخر عرفه الإنسان الحديث في شرق أو غرب..

ومن هنا تدفق سيل البلاء على دعاة الحق، إذ أصبحوا يشكلون الجبهة الوحيدة المقاومة لتلك الشواذ الخطيرة، والمتصدية لتصحيح الأفهام، ولنشر التوعية بحقائق الإسلام، والمعارضة لكل انحراف عن جادَّته في أوساط الحكام.

ومن البديهيات المألوفة في عالم السياسة الميكافيلية أن أصحاب الحكم

(١) مجلة «الأمان» عدد ٣٥/ ٧ ذي القعدة ١٣٩٩ (ص٨).

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ١٤ ـ ١٥).

المطلق لا يقرون معارضة تَحُدُّ من سلطانهم، فكل محاولة لتغيير وجهتهم من قبل الآخرين إنما هي بنظرهم تطاول على كرامتهم، واستهانة بشأنهم، لا مندوحة من القضاء عليها بكل الوسائل الممكنة.

وهكذا وجدت الجماعة الإسلامية وقائدها الملهم أنفسهم في أتُونٍ من المحن المتلاحقة لا يفرغون من الواحدة حتى تتلقفهم الأخرى..

إنهم يرون اتجاه الدولة في الطريق نفسه الذي طالما عانوا من شروره في ظل الاستعمار الإنجليزي بل إنهم ليرون هؤلاء الحكام المحسوبين على الإسلام أشدَّ عداءً له من الإنجليز أنفسهم، وأشد منهم اندفاعًا في تأييد قوانينهم المنافية لدين الأمة، فعلام إذن حدث هذا الانفصال، وفي سبيل أي شيءٍ تحمل المسلمون تكاليفه التي ذهبت بعشرات الآلاف من إخوانهم وبآلاف الملايين من ممتلكاتهم؟!..

كلا.. إن اللَّه لن يعذر مسلمًا يرضى بهذه الخيانة التي ستقرر مصير المسلمين إلى أحقاب طويلة وإذا كانت التبعة على قدر الإدراك فعلى عاتق الجماعة الإسلامية يقع العبء الأكبر منها.

*** في معركة الدستور:**

وهكذا أخذ المودودي زمام المبادرة لمواجهة كل تدبير يضاد الخط الإسلامي، وكان سلاحه في هذه المعركة ذلك القلم الذي استطاع بتوفيق اللَّه أن يوقظ النائمين، ويُقِض مضاجع الظالمين، ثم تلك الجماعة التي احتضنت أفكاره، من خلال إيمانها بكتاب اللَّه وسنة رسوله، وشاركته التصميم على تحمل كل مسئولية في سبيل اللَّه.

ومن الطبيعي أن يقع ثقل المعركة بين الطغيان الجديد، والجماعة الإسلامية، بين علمانية المتسلطين وإسلامية المودودي وإخوانه العاملين..

وحشد كل من الفريقين أعوانه في التحام غير متكافئ من حيث الإمكانات، فبينما يقود رجال السلطة مرتزقة الغوغاء من السياسيين

والعسكريين وأتباعهم، من عميان العامة والحاقدين على الإسلام، ليضربوا بهم جنود الحق العزل بكل ضروب الإرهاب، كان هؤلاء يدفعون الشر بالخير والحماقة بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد وطّنوا أنفسهم على التضحية بكل شيء من أجل الإسلام، الذي باسمه ولأجله قامت باكستان.

وتفاقم الصراع بين الطغيان والجماعة الإسلامية، على تفاوت ما بين وسائل كلٍّ من الفريقين، وقد تجلى ذلك أكثر ما يكون في معركة الدستور، التي حفزت كلا منهما لتعبئة أقصى ما يملك من الطاقات. ولا غرو، فالدستور هو المنطلق الذي سيحدد الخط النهائي لنظام الحكم.. وهو الفيصل الحاسم في حياة المجتمع الباكستاني وفي مسيرته العامة، فإما أن يكون إسلاميًّا ينسجم مع طبيعة السواد الأعظم من الأمة، التي دفعت فداء إسلامها عشرات الألوف من الشهداء والمشوهين، فازدادت به تشبثًا، يقينًا منها بأنه لها بمنزلة الروح من الجسد، والمأمن الذي ليس وراءه إلا العار والدمار..

وإما مخطط شيطاني تُمليه أهواء الأقليات الضالة من متسلطين نشئوا في محاضن الاستعمار فلا يستسيغون سوى طريقته في الحياة، ووثنيين خُلِّفوا في باكستان ليكونوا «الطابور الخامس» لأعدائها المتربصين بها الدوائر.. ماركسيين فقاديانيين يدّعون الإسلام وهم ألد أعدائه، الذين أعطوا ولاءهم لبريطانية التي حطمت كيان الدولة الإسلامية في الهند، وملأت شوارعها بجثث العشرات من آلافهم..

وكان على الجماعة العزلاء إلا من سلاح الإيمان أن تثبت للمتسلطين تأييد السواد الأعظم من الأمة لدعوتها إلى الدستور الإسلامي، فراحت تعقد الاجتماعات الشعبية هنا وهناك، فتتهافت الجموع المؤمنة لتأييدها في تصميم لا يعتريه خوف الموت..

وصدرت الأوامر إلى مرتزقة السلطة وجنودها بمهاجمة هذه الاجتماعات بكل وسائل الإرهاب، وثبتت الجماعة بوجه المجرمين، معتصمة

بالصبر والهدوء والرد بالتي هي أحسن..

وهكذا يمضي الفريقان كل في الطريق الذي ارتضاه أو سِيق إليه.. وكان أشد الجميع إيذاء للجماعة الإسلامية جمهور القاديانيين من أنصار وزير خارجية باكستان، التي يقول أول رئيس لوزرائها لياقات على خان: «إنها هبة الإسلام» ومع ذلك لا يتورع حكامها أن يشهروا الحرب على الإسلام وأن يسلطوا عليه أشرس أعدائه.

وعلى الرغم من المنهج السلمي الذي أخذ به الإمام المودودي جماعته لم يجد بدًا من مواجهة القوى الشريرة بالتظاهرات السلمية[1] المصممة تملأ شوارع البنجاب هاتفة بسقوط القاديانية. وغرّ القاديانيين سلطانهم في قوى الأمن فانهالوا على المؤمنين بالنار التي حصدت من المتظاهرين عدة مئات.. ولكن الإيمان كان كشأنه دائمًا أقوى من الموت، فلم يقف الزحف السلمي حتى سقط قائد القاديانية ظفر اللّه خان، وتضاءلت قواته حتى كادت تنحصر في حوك الدسائس من وراء الستور.

*** أكبر من الموت:**

في هذه الظروف ألف الأستاذ المودودي رسالته في موضوع القاديانية ففضح عقائدها ومؤامراتها الرهيبة على المسلمين، ولكن حاكم باكستان غلام محمد ما لبث أن اتخذ منها مسوِّغًا لإعلان الحكم العرفي ولإلغاء الجمعية التأسيسية، ولوقف البحث في الدستور الجديد، الذي يوشك أن يأخذ طابعه الإسلامي تحت ضغط الشارع، الذي يقوده المودودي وأنصار فكرته.. وتلا ذلك اعتقال الكثيرين من رجال الإسلام، وعلى رأسهم المودودي بتهمة تأليف كتِّيب وُصِف بأنه ضاعف من أسباب الاضطرابات والقلاقل.. وهي مناسبة تتيح لأولئك المتسلطين فرصة التخلص من الرجل الذي يشكل بنظرهم العقبة

(١) المظاهرات السلمية وجدواها يخالف فيها السلفيون في عدم مشروعيتها الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية بباكستان ورأي السلفيين أرجح وبه نلتزم واللّه أعلم.

الكبرى في طريق الدولة العلمانية، التي تطلق أيديهم في رقاب الشعب، وتمكنهم من العبث بكل قيمه الإسلامية..

وأصدرت محكمة العسكر قرارها بإعدام المودودي، في محاكمة صورية كالتي يساق إليها الإسلاميون في مصر وتركية وإندونيسيا، والعديد من أقطار المسلمين الرازحة تحت كابوس العسكريين.

ويصف مرافقه خليل أحمد الحامدي موقفه وهو يتلقى ذلك الحكم الظالم فيقول: لقد استمع إلى هذا القرار بوجه باسم وقلب مطمئن، ولم يزد على قوله: «الحمد للّه على كل حال..».

وجاء الضابط ليسلمه نص القرار وهو يقول: يمكنك أن تقدم الاسترحام خلال أسبوع. ولعل هذا الضابط كان يظن أنه يقدم بذلك بشرى سارة إلى ذلك المحكوم عليه بالموت، وهل يجهل أنه تلقاء نوع من الرجال لم يسمع بمثله قط، لذلك لا بد أنه فوجئ بقول الشيخ في الرد على عرضه: «لن أسترحم أحدًا لأن أحكام الموت والحياة لا تصدر من الأرض، بل من السماء، فإذا قدر اللّه لي موتي فلن يستطيع أحد إنقاذي، وإذا قدر اللّه الحياة فليس بمقدور أحد أن يضرني قيد شعرة» ثم توجه الأستاذ إلى إخوانه الحاضرين تلك المحاكمة بقوله: «لا يقدم أحدٌ منكم أي استرحام بشأني، وأؤكد بذلك على والدتي وأخي وزوجتي وأولادي جميعًا..».

ولكن.. وعلى الرغم من استنكاف الأستاذ عن طلب الرحمة فقد أعادت المحكمة العسكرية نفسها النظر في قرارها واستبدلت به حكمًا بالسجن لمدة إحدى وعشرين سنة.. ولعلها قد فعلت ذلك بإيعاز من السلطة التي تدرك مدى الخطر في إعدام الإمام المودودي، الذي استحوذ بشخصيته المثالية على حب المسلمين، وعرف الطريق إلى قلوبهم فهو يؤلّبهم لتوكيد انتمائهم الإسلامي، فأقدمت على ذلك التغيير تفاديًا للعواقب التي لن تستطيع دفعها..

* إلى المحكمة العليا :

وقد قضى الأستاذ خمسة وعشرين شهرًا فقط من تلك السنين في السجن.. إذ انتهز إخوانه فرصة قيام وزارة جديدة فرفعوا إلى المحكمة العليا بلاهور اعتراضًا على ذلك الحكم بالباطل متذرعين بالبراهين القانونية التي لا تُدفع..

يقول الأستاذ الحامدي[1] : «لما دخل الإمام المودودي قاعة المحكمة العليا وقف قضاتها احترامًا له.. وهو موقف لم يعرف له مثيل في تاريخ القضاء..».

في هذا المشهد الرائع سمع الإمام المظلوم قرار المحكمة العليا بالإفراج عنه، مصحوبًا بالتكريم الأسمى من أعلى هيئة قضائية وثقافية في باكستان، فكان ذلك إدانة دامغةً لعهد خان قضية الإسلام، الذي لولاه لما كان لباكستان من حق في الوجود.

وإن كل ذي ضمير حي في العالم الإسلامي ليشعر بالتوقير البالغ لأولئك القضاة الذين أثبتوا أنهم فوق الأهواء، وأنهم مع الحق الذي لم يوجد القضاء إلا لحمايته من عسف البغاة والمستبدين..

ولقد كان لهذه الظاهرة أثرها العميق في ارتفاع معنويات المسلمين، فإذا بالمسيرات والمواكب والحفلات تعم أرجاء لا هور بمظاهر الفرح والاستبشار، وأقيمت الاحتفالات العديدة لاستقبال البطل الظافر، وفي أحد هذه التجمعات رد على كلمة الترحيب بقوله:

لقد ذكرتم ما قدر اللّه علينا من محن الحكم بالإعدام إلى امتحان السجن، وأحب أن أقول لكم إن هذه الأحداث لم تفاجئنا قط، بل إني كنت

(١) (ص٦٤) من كتابه «الإمام أبو الأعلى المودودي» ط المكتبة العلمية بلاهور.

أتوقع أمثالها منذ أن وضعت أول خطاي في هذا الطريق قبل اثنتين وعشرين عامًا.. إذ من خصائص العقيدة التي نؤمن بها أن تواجه بالمحن، وقد علمنا التاريخ أن الدعوة امتُحنت في الماضي، ولا بد أن يتكرر الامتحان في الحاضر والمستقبل، سنة اللَّه ولن تجد لسنة اللَّه تبديلاً..

* **المفاجأة الرهيبة:**

وكانت هدنة تحرر المسلمون أثناءها من كابوس الإرهاب العسكري، وبخاصة بعد أن عادت الجمعية التأسيسية الجديدة إلى أعمالها، وصدَّقَتْ على الدستور الإسلامي، الذي أجمعت عليه الأمة بلسان علمائها وجماعاتها وجماهيرها الشعبية، واعتبر يوم صدوره من عام ١٩٥٦م منطلق حياة سعيدة للمسلمين جميعًا، لم يشذَّ عنهم إلا قلة من المستغربين والشيوعيين والقاديانيين والنفعيين، الذي ألقوا بأقدامهم إلى مزلقة الإثم، فلم يعودوا بقادرين على التوقف قبل أسفل الهاوية..

وعبر الإمام المودودي أيامئذ عن فرحة المسلمين بذلك التصريح الذي يصور مدى أمل المسلمين في مستقبلهم المنشود:

«نبدأ اليوم حياة جديدة، حياة شعب حر قرر بلسان ممثليه أن الحاكمية في باكستان للَّه عز وجل، وأن السلطة أمانة في عنق الأمة لا تزاولها إلا في نطاق ما حدد اللَّه ورسوله.. فالحمد للَّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللَّه..»[1].

ولكن.. شاء اللَّه ألا تقف محنة باكستان عند هذه النهاية البهيجة؛ لأن أعداء العدالة والخير قد صمموا على ألا يُلقوا سلاحهم وفيهم عرق ينبض، وهكذا فوجئت باكستان ذات صباح بمثل الحال التي أشار إليها قول الشاعر:

---

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/١٦ ـ ٢١).

قد سالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفـو الليالي يحدث الكدر

ففي الثامن من أكتوبر عام ١٩٥٨ أغار الجنرال محمد أيوب، وكان رئيسًا لأركان الجيش الباكستاني، على أمنها في انقلاب عسكري ألغى البرلمان ونقض الدستور، وأدخل البلاد في تيار المحن والمتاعب المتلاحقة طوال إحدى عشرة سنة، لم تعرف لها باكستان نظيرًا في كثافة البلاء وجرأة الحكام على دينها وشريعتها..

لقد صمم محمد أيوب على اجتثاث المعارضة لحكمه بكل الوسائل الممكنة، وبدا له أن يجرب أسلوب المكر مع الإمام المودودي، وكان ذلك عام ١٩٦٠ حين جاء مدينة لاهور، وهناك بعث إليه يدعوه لمقابلته في قصر الحكم، وبعد تردد بين الإجابة والرفض قرر مقابلته رجاء أن تكون المقابلة في صالح الدعوة، واستقبل أيوب الشيخ بترحيب حار وأحاطه بحفاوة جميلة، وراح يطري جهود الشيخ ويكثر الثناء على خدماته للإسلام، وقدرته البارعة في اكتساب العقول والقلوب.. حتى إذا انتهى إلى ما يريد قال:

أيها الشيخ الفاضل. أقترح عليك التفرغ للدعوة والتبليغ بعيدًا عن التورط في السياسة والانغماس في أوحالها.. وبذلك تكون أكثر نفعًا لقومك ووطنك.. ولكن الشيخ سرعان ما أبطل مكره حين أجاب:

«حقًا إن السياسة قد استحالت أوحالاً، ولذلك دخلتها لأطهرها من الأوساخ، وأجعلها نظيفة سديدة لا تدنس الأذيال بل تعود رحمة على الوطن وأهله..»[1].

*** مؤامرة على الإسلام:**

وكان هذا الجواب بمثابة النذير بمعركة جديدة بين الطغيان والإيمان..

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٢٢).

وقد امتازت هذه المعركة بضروب من العنف والهول أكبر من كل التجارب السابقة، ذلك أن محمد أيوب قد دخلها في برنامج صريح يستهدف حربًا للإسلام لا هوادة فيها.. فقد قرب إليه منكري السنة من أتباع المدعو أبرويز، وما أدري أذلك اسم له أو لقب، ولكن المعروف أنه اسم لآخر أكاسرة الفرس، ذلك الأحمق الذي مزّق كتاب رسول اللَّه فمزق اللَّه ملكه وقتله بيد ولده، ولعل هذا الخائب قد اختار لنفسه ذلك اللقب إعلانًا لنيته بتمزيق الكيان الإسلامي في باكستان.

لقد راح هؤلاء الخائبون يثيرونها حربًا شعواء على السنة النبوية فيصدرون الكتب والمجلات المشحونة بالطعن عليها، وتتولى أجهزة الإعلام الحكومية توزيعها وإشاعتها، وأقبلت على وضع تفسيرات مضللة لمعاني الكتاب الحكيم، تصرفها عن مقاصدها الإلهية إلى توجيهات هدامة، كتفسيرها القطع للسارق بتأديبه في السجن والغرامة، وتفسيرها للصلاة بالحركة والنشاط والتزام الدوام الرسمي في موعده المحدد، وقولها في الزكاة إنه استثمار المال في المشروعات الإنمائية، وأتموا مؤامرتهم باعتبار رئيس الدولة بمثابة الرسول في امتلاك السلطة المطلقة في التشريع والتقنين وتفسير الأحكام القرآنية بما يراه مصلحة لعصره دون مراجعة لسنته ﷺ..

وبهذه القحة أصدر محمد أيوب عددًا من القوانين المضادة للشريعة المطهرة، وبخاصة في نطاق الأحوال الشخصية، التي يعتبر الإخلال بها سلخًا للمسلم من صبغته الإسلامية، ومن ذلك حظر الزواج على الفتى الذي لم يبلغ السادسة عشرة مع إباحة الزنى والمخالَّة له مع أيٍّ شاء من النساء..

وفي هذا الجو الخانق أُغْلِقَتْ أفواه العلماء، وحيل بينهم وبين إبداء مرئياتهم في هذه التصرفات الخرقاء، ولم يبق في الساحة من يرجى للتنفيس عن صدور المسلمين سوى الرجل الذي وهب حياته للإسلام، فلا يبالي على

أي جنب كان في اللَّه مصرعه..

لقد انبرى المودودي لعدو السنة أبرويز وجعل يفند أضاليله الواحدة بعد الأخرى في مجلته «ترجمان القرآن» حتى أتى عليها جميعًا، فكشفه للناس عدوًا مبينًا لدين اللَّه، وهو يعلم يقينًا أنه لا يهاجم أباطيله وحدها، بل يهاجم من ورائه السلطة التي تمده بكل أسباب القوة.. ويهاجم كذلك كل من أخذ بتّرهاته من أعداء السنة. وهذا كتابه «مكانة السنة في التشريع» يجعل من هؤلاء في كل زمان ومكان أضحوكة العقلاء، بما يُعَرِّي من جهلهم لحقائق الإسلام، القائمة على الكتاب والسنة دون أي انفصام.

وتصدي لقوانين أيوب المنافية لشريعة اللَّه بالنقد العلمي الذي قطع ألسنة كل المدافعين عنها.. ما أثار حنق الطاغية فأمر باعتقال بعض قادة الجماعة الإسلامية، وزج بالسجن صاحب المطبعة التي أقدمت على نشر ذلك النقد.. ولكنه لم يتعرض لشخص المودودي، ولعله توهم أن تجريده من إخوانه في ذلك الجو الرهيب كاف للحد من نشاطه، ومُلْق في قلبه الرعب فيمسك عن مهاجمة دستوره الهدام، ولكن خاب فأله، حين رأى البطل المؤمن يتناوله بالتشريح الفاضح، فيبرز بوائقه، ويبين أخطاره على الحرية، وما يستهدفه من توطيد النظام الاستبدادي وعلى الرغم من إحجام الصحف الباكستانية عن نشر ذلك النقد الفاضح، فقد حملته الألسن إلى كل مكان فتردد صداه على مستوى الدولة كلها.

*** تصميم أعظم من الإرهاب:**

وبذلك تهيأت الأذهان لحضور الاحتفال الذي أعدته الجماعة الإسلامية لإعلان قرارها الحاسم في ذلك الدستور البغيض.. واستحصلت على إذن من النيابة بعقد ذلك الاجتماع الذي ضم ما يزيد على عشرة آلاف مندوب وعزّ على السلطة الاستبدادية أن تمر تلك المناسبة الهامة بسلام، فدفعت

أدواتها من رجال المباحث لإحداث البلبلة، فاندسوا خلال المجتمعين، وجعلوا يثيرون الشغب ويطلقون الشعارات المعادية للجماعة ولقائدها.. وهو قائم يلقي خطابه في الجمهور، وعمدوا إلى أسلاك المكبر فقطعوها لكي يمنعوا صوته من الوصول إلى الأسماع.. إلا أن الجماعة سرعان ما تداركت هذا الحال بالعودة إلى طريقة المبلِّغين، الذين نهضوا في جوانب الحفل، وجعلوا يستقبلون كلمات الأستاذ ليوصلوها إلى الحضور كاملة مفصلة.. وساء المشاغبين إخفاقهم في إفساد الاجتماع فعمدوا إلى السلاح يطلقون النار لمجرد الإرهاب أولاً، ثم وجه أحدهم طلقته إلى الإمام نفسه، ولكن شاء اللَّه أن تصيب رجلاً آخر من الجماعة فيسقط شهيدًا في الحال، ويظل الأستاذ منتصب القامة يترقب الفرصة لاستئناف خطبته، وأحاط به بعض إخوانه يدعونه للجلوس حفاظًا على سلامته، ولكنه أبى وأجاب: «لو جلست فمن سيبقى واقفًا؟!» ولم يُذهِل حرج الموقف عزيمته، وأخذ يوجه تنبيهاته لأفراد الجماعة بالتزام الهدوء، والاكتفاء بإخراج المشاغبين دون أذى.. وما هي إلا دقائق حتى عاد الوضع إلى طبيعته، وهنا أرسل المودودي الحكيم كلمته التي ذهبت مثلاً: «إن مَثَلَ الحركة الإسلامية كمثل الماء المتدفق، إذا واجه صخرة في طريقه لا يضيع جهده في تحطيمها، بل ينعطف يمينًا ويسارًا حتى يترك الصخرة وراءه تعض أناملها من الغيظ..»[1].

* بين الخرافة والغرور:

«وبلغ الغرور بمحمد أيوب بعد فوزه الصوري في ذلك الانتخاب حدّه الأقصى.. وكان ذلك في آخر رمضان من عام ١٩٥٧ إذ حلّ عيد الفطر في يوم الجمعة، فكبر على الرئيس أن يجتمع على المسلمين خطبتا الجمعة والعيد

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٤ ـ ٢٥).

في يوم واحد، وذلك بنظر الخرافيين في باكستان نذير بانتهاء الحكم القائم، لذلك بادر بمحاولة تغيير موعد العيد فأصدر الأوامر بوجوب إفطار المسلمين يوم الخميس، مع التهديد بالاعتقال لكل من يخالف ذلك الأمر. ولم يكن للميدان غير فارسه المُعْلَم، فأعلن الأستاذ ـ رحمه اللَّه ـ استنكاره لتلك الخرافة، وأكد للمسلمين بأن موعد العيد موقوف على ثبوت الرؤية، وليس لأحد أيًّا كان مركزه أن يقدم في ذلك الموعد أو يؤخره بعد الرؤية الثابتة بالشرع.. واعتبر محمد أيوب هذا التصريح من المودودي تحديًا لمقامه وإلغاء لكلامه، فأمر بإعادة اعتقاله، حيث لبث في السجن شهرين، غادره بعدهما ليشهد عقيب أشهر قليلة سقوط الطاغية وزوال عهده الأسود.. ولكن لم ينته إلى هذا المصير إلا بعد أن مهد السبيل لخليفته ذي الفقار بوتو، ومجيب الرحمن، اللذين قضيا على وحدة باكستان»[1].

*** نظرة في مؤلفات الأستاذ المودودي:**

وطبيعي أن القارئ الذي يريد الإحاطة بشخصية الإمام المودودي، لن يكفيه الاطلاع على ما كتبه عنه وعن جهاده الكاتبون، حتى يرجع إلى مؤلفاته نفسها فَيُنْعِم فيها الفكر والتأمل، ويتغلغل من خلالها في أعماق تلك الشخصية الفذة، التي أعدها القدر إعدادًا خاصًا لإيضاح معالم الإسلام، ولإيقاظ الوعي لحقائقه الجامعة المانعة على ضوء العصر، فكان بها أحد المجددين لهذا الدين.

❑ ولننظر الآن في عنوانات بعض هذه المؤلفات التي تتجاوز المئة عددًا، والتي تُرجم بعضها إلى أكثر من أربعين لغة:

١ ـ الحضارة الإسلامية: أصولها ومبادئها.

٢ ـ نحن والحضارة الغربية.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٩).

٣ ـ الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة.

٤ ـ مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة.

٥ ـ في محكمة العقل.

٦ ـ الرسول والرسالة.

٧ ـ حقوق الزوجين.

٨ ـ تحديد النسل.

٩ ـ مبادئ الإسلام.

١٠ ـ أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة.

١١ ـ الحجاب.

١٢ ـ الإسلام كما جاء به الرسول.

١٣ ـ نظرة الإسلام السياسية.

١٤ ـ نظرة فاحصة على العبادات الإسلامية.

١٥ ـ موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه.

١٦ ـ منهاج الانقلاب الإسلامي.

١٧ ـ استفسار وذو بال.

١٨ ـ المصطلحات الأربعة في القرآن.

١٩ ـ الإسلام والجاهلية.

٢٠ ـ منهج جديد للتعليم والتربية.

٢١ ـ معضلات الإنسان الاقتصادية وحلها في الإسلام.

وفي هذه العنوانات الرامزة لمضموناتها تصوير جامع لطاقة فكرية تناولت أسس الحياة الإنسانية في ضوء الإسلام. فالحديث عن الحضارة الإسلامية ـ في الكتاب الأول ـ يتطلب علمًا يتسع لأبعاد الحياة البشرية

obeikandl.com

وموقف الإسلام من كل جزء فيها، ولا يقل عن ذلك أهمية تحديد موقف الإسلام من حضارة الغرب، التي يراد فرضها على المجتمعات الإسلامية، ثم عناصر الصمود الإسلامي في وجه التحديات العصرية.. وهكذا نلاحظ من مجموع هذه الأسماء التي اختارها المؤلف لكتبه طابع الشمول الذي يتصف به ذلك العقل الجبار، الذي ترك بصماته عميقة في ثقافة العالم الإسلامي المعاصر. ولا عجب فقد رأينا من حديث الأستاذ عن مصادره الثقافية ما أقنعنا بأن لديه من نعمة اللَّه وتوفيقه القدرة على معالجة مختلف المشكلات التي تشغل الفكر البشري في هذا الزمن، ومواجهتها بالحلول الشافية المستمدة من كتاب اللَّه الخالد وسنة رسوله الذي علمه ما لم يكن يعلم، وزوده من الحكمة بكل المؤهلات التي تؤكد أنه الرحمة المهداة.. [١].

*** خلوات مباركات وكرامات:**

ومع أن الميزة الأولى لهذه المؤلفات سواء الصغير منها أو الكبير، هي الجدّة والعمق والنسق المنطقي، الذي يخاطب عقل القارئ وقلبه جميعًا، فقد لفت انتباهي منها حديث الأستاذ الحامدي عن كتاب «مبادئ الإسلام» الذي يقول: إنه ترجم إلى ثلاثين لغة، وصدرت منه ملايين النسخ، وكان من المهتدين به شاب أسباني كتب إلى الأستاذ عقيب قراءته إياه في ترجمته الأسبانية يقول: إنه كان قد اختار حياة الترهب فما إن اطلع على كتابه هذا حتى أُخِذَ بِهِ وانتقل من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.. لا إيمان الوادع بل إيمان من لا يخلد إلى الراحة حتى يُخْضِع الصليب في أسبانيا للَّه الواحد الأحد الصمد[٢].

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٩ ـ ٣١).

(٢) «كتاب الحامدي» (ص٢٦).

ولئن صح ما يقوله الأستاذ الحامدي رواية عن الإمام المودودي بأنه قد أتم تأليف هذا الكتاب لإدارة التربية والتعليم في حيدر أباد، خلال أسبوع واحد فقط، فلا أشك أنها كرامة قد قيضها له اللَّه، من نوع تلك الكرامات التي كانت توافي شيخ الإسلام ابن تيمية فينتج من الأعمال العلمية في اليوم الواحد ما يعجز الآحاد من العلماء في الأسابيع والأشهر.

ولم يلتق المودودي وابن تيمية على هذا فحسب بل كان بينهما أكثر من جانب مشترك واحد. فقد كان السجن لشيخ الإسلام خلوة تساعده على المزيد من التأمل والإنتاج العلمي، وكذلك المودودي إذ بارك اللَّه عليه في سجنه، فقدر له إخراج العديد من الكتب الصالحة، منها كتابه المشهور عن «الربا» و«مسألة ملكية الأرض في الإسلام» كما أتم المجلد الأول من تفسيره الذي يسميه «تفهيم القرآن» في غياهب السجن أيضًا»[1].

*** المودودي والتصوف:**

وأي مؤمن سليم الرؤية ينكر على الأستاذ المودودي قوله عن غلاة الطرقيين في كتابه «واجب الشباب المسلم»: «وإن تعجب فعجب حال الصوفية فلا تجد بينهم من عمل بالإسلام الحقيقي وعلَّمَه إلا عددًا يسيرًا، وأما معظمهم فكانوا يدعون إلى تصوف مزاجه الفلسفات الإشراقية والمانوية والرواقية، التي اختلطت بالتصوف حتى لم تبق له علاقة مع عقائد الإسلام وأعماله الخالصة إلا قليلاً..»!!!.

وهل نحن بحاجة إلى التذكير برواسب هذا المزيج الهندي والفارسي واليوناني، في مذاهب أولئك الطرقيين، الذين شحنوا أذهان مريديهم بأفكار الحلاج وابن عربي والتجاني والجيلي، والعشرات من أمثالهم، الذين أصبحوا

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٣١ ـ ٣٢).

قادة السواد الأعظم من عامة المسلمين.. وأصبحت أضاليلهم أعمق أثرًا في قلوبهم من كلام اللَّه ورسوله والأئمة من علماء الإسلام!!

حتى ما يسمونه التصوف النقي يرى الأستاذ المودودي التوكيد على أن الإقبال عليه لا يتفق مع مصلحة الإسلام في الظروف الراهنة، فهو بنظره كالماء الذي استيقن المريض ضرره، فيجب عليه تركه على الرغم من إباحته الأصلية[1] وقديمًا قال الحكماء: «الحكم على الشيء فرع عن تصوره»، وموقف المودودي من المتصوفة له صلة وثيقة بواقعهم الذي نشهده في كل مكان إلا ما رحم اللَّه وقليل ما هم.

* بين المودودي وأبي الحسن الندوي:

«في كتاب «التفسير السياسي للإسلام» الصادر في رمضان ١٣٩٨هـ يناقش الأستاذ أبو الحسن الندوي بعض أفكار أخيه المودودي، فيترجم إعجابه الكبير «بمقالاته القيمة التي كان يكتبها في مجلته الغراء «ترجمان القرآن» في نقد الحضارة الغربية ونظام الحياة الغربي، التي تتميز بأسلوبها الهجومي ونقدها اللاذع لحركة التقدمية والتجدد وفكرة القومية المتطرفة، التي نجمت وباضت وفرخت في حضن الثقافة الغربية، وكذلك موضوعات وقضايا في صميم الشريعة الإسلامية.. وسطر قلمه مقالات قوية مؤثرة معضدة بالدلائل أمثال «الربا» و«الحجاب» و«الجهاد» و«الأضحية» و«الرق» و«حجية الكتاب والسنة» و«الأحوال الشخصية» وما إليها من المسائل الهامة..» حتى ينتهي إلى القول بأنه: «سيكون من الإجحاف الكبير إذا لم نوف حقه من الاعتراف بما لعبته مقالاته هذه.. ومؤلفاته ورسائله المستقلة من دور رائع في إعادة الثقة إلى الطبقة الذكية المثقفة ثقافة غربية بالإسلام، وبقيمه وتصوراته وفي

(١) «التفسير السياسي للإسلام» لأبي الحسن الندوي (ص١١٧).

تخليصها من مركب النقص ونفسية الهزيمة الداخلية حيال الإسلام وتعاليمه، مما جعل بعض الكتاب يدعونه «متكلم الإسلام».

* **النقد البريء:**

ومن ثم يقف على بعض النقاط التي يرى شذوذها عن الخط الذي يطربه في كتابات المودودي، فيقول: إن الأستاذ المودودي من خلالها «يمارس عملاً آخر نستطيع أن نسميه «الصياغة الجديدة للفكر الإسلامي» أو «الصياغة الجديدة للإلهيات الإسلامية».

ويشرح ذلك بأنه يعني كتابه «المصطلحات الأربعة في القرآن» الذي فسر فيه تلك المصطلحات تفسيراً خاصًا يتميز بالطابع السياسي، ويدور حول «حاكمية الإله» و«سلطان الرب» يحدد علاقة العبد بربه في حدود.. «تأسيس «الحكم الإسلامي» و«إقامة الحكومة الإلهية» فحسب..

والمصطلحات الأربعة التي يدور حولها كتاب الإمام المودودي هي: الإله والربّ والدين والعبادة، وخلاصة ما ذهب إليه بشأنها هي أنها المحور الذي عليه يدور الكيان الإسلامي كله، وأن مفهومها الصريح الواضح في الحِقَب الأولى قد تغير في تصور المسلمين اللاحقين تغيراً أفقدها روحها وفاعليتها.. حتى باتت العقيدة في الألوهية والربوبية محدودة الأثر في حياة جماهير الأمة، بل أقرب إلى الموت، لا تحرك ساكنًا لتنفيذ شريعة اللَّه، وبذلك استحالت العبادة حركات لا مردود لها في نطاق الطاعة الواجبة لأوامر اللَّه ونواهيه..

فالمسلم في عبادته الخالية من روح الوعي لحقائق الإسلام والعمل بها شأنه كشأن الخادم الذي يكتفي من تعظيم مخدومه بترديد اسمه والقيام بين يديه دون أن يقوم بتنفيذ أي من تعليماته الحاسمة.. وفي تمثيل آخر يشبهه بالمريض الذي كتب له الطبيب الحاذق وصفة شافية، لكنه بدلاً من استعماله الدواء الموصوف اكتفى بقراءة الوصفة وترديد كلماتها..

ولكي يتم القيام بمضمون المصطلحات الأربعة بنظر المودودي لا بد من الجمع بين التلبس بالعقيدة السليمة في الألوهية والربوبية والتزام العبادة الحقة مع النهوض بواجب التنفيذ لأوامر اللَّه، التي في رأسها السعي لإقامة حكم اللَّه في الأرض، وإزالة ظلمات الشرك عن عباده.. حتى ليجعل أركان الإسلام الأربعة بعد الشهادتين.. مقررات تدريبة لتحقيق ذلك الهدف.

ومأخذ سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي على هذه الأفكار المتحدة عند المودودي وسيد قطب، أنها تفرغ العبادة من صفتي الذل والحب التي يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية أنها ـ العبادة ـ «تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، إذ تتضمن غاية الذل للَّه تعالى بغاية المحبة له..» وهو مأخذ لا مندوحة من النظر إليه؛ لأن تجربة المؤمن الذاتية، بل اليومية، تؤكد له أن علاقته بربه قائمة على الرهبة والرغبة، وأن ثمة لحظات من التجلي تمر به فتغمره بحبه، حتى ليكاد يذهل في غمار نشوتها عن كل معاني الرهبوت والجبروت..»[1].

فتركز المودودي وسيد قطب ـ رحمهما اللَّه ـ على الجانب السياسي فقط في موضوع المصطلحات الأربعة يؤخذ عليهما، وإن كان لهما العذر في الواقع الرهيب الذي يعانيه الإسلام في ظل العلمانية والخطر الهائل الذي يهدد الإسلام والمسلمين بالزوال إذا لم يكن لهم الكيان الذي تحكمه شريعة القرآن.. لا بد أن يؤخذ الإسلام ككل، ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**﴾، لا بد أن يؤخذ التوحيد بشموله، ولا يحصر الإسلام في الجانب السياسي فقط.

*** الدين النصيحة.. وكل يخطئ ويصيب:**

إن الشيخ المودودي ـ رحمه اللَّه ـ أكثر الكتابة في مواضيع مختلفة

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٣٤ ـ ٣٦).

ومتنوعة. فزلّ قلمه في بعض الأمور التي نراه قد رجع عن كثير منها، إلى الصواب الذي فقده في كتاباته القديمة، أو أدخل تعديلاً في العبارات التي كانت مثار سوء تفاهم لدى الناس، أو وعد بذلك عند تنبيه القرّاء على بعض أخطائه، كما لا يخفى على من له إطلاع على كتاباته القديمة والحديثة[1].

---

(١) راجع على سبيل المثال:

تفسير آية ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [النساء: ١١] في تفسيره «تفهيم القرآن» (ط. أولى)، حيث أخطأ في تفسير الآية، وصحّحه في الطبعات الأخرى ـ انظر (١/ ٣٢٦) ـ طبعة لاهور ١٩٨٢م.

ـ وكذا في تفسير آية: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] وقع في الخطأ، وصححه في تفسيره «التفهيم» (طبعة لاهور ١٩٨٢).

ـ ذهب إلى إباحة المتعة في بعض الحالات الاضطرارية (ترجمان القرآن) أغسطس ١٩٥٥م، (٤/ ٣٧٩) عدد ٦.

وحينما سئل عن توضيح هذا الأمر، قال: «كنت أريد من هذا إصلاح أفكار الذين أجازوا المتعة مطلقًا بدون شرط الاضطرار، ولكني أتأسف على أنه نشأ سوء تفاهم من أسلوب كتابتي بأني أجيز المتعة في حالة الاضطرار، والحق أنني أقول بحرمتها قطعًا، وصرّحت بذلك قبل عدّة سنوات في «رسائل ومسائل» (٢/ ٢٠ ـ ٢٣) فاطمئنوا على أنه سيدخل تعديل في مثل هذه العبارات عند المراجعة بحيث لا يبقى إمكان لأي سوء فهم» «رسائل ومسائل» للمودودي (٣/ ٤١) ـ ط رابعة، فبراير ١٩٨١م بدلهي).

فالانتقاد على الشيخ المودودي في مثل هذه المسائل، بناء على كتاباته القديمة خلاف الحق والصواب، وخلاف الأمانة العلمية أيضًا.

ـ ولكن للأسف أن السيد علي النقوي من علماء الشيعة استغلّ كلامه لإثبات المتعة فقال: «قد أقرّ بإفادية المتعة مفكّر العصر الشهير العلامة أبو الأعلى المودودي، أمير الجماعة الإسلامية، بكتابة مقال مفصل حول الموضوع» «الأستاذ المودودي في نظر علماء أهل الحديث» (ص١٥) طبعة غوجرانواله ـ نقلاً عن «المتعة والإسلام» للسيد علي النقوي (ص٧) ـ نشر المكتبة الإمامية بلاهور.

ـ ولم يقتصر الأمر على هذا، بل الشيعة اتخذوا بعض كتابات الشيخ المودودي الأخرى أيضًا حول «الصحابة» ﷺ ـ تكأة يتكئون عليها، وليس هذا مجالاً للتفصيل. ومن يريد ذلك فليراجع كتابه «الخلافة والملك» الذي طبعته «دار القلم» بالكويت. =

وهذا الذي كان يرجى منه ومن أمثاله العاملين في حقل الدعوة الإسلامية؛ لأن الإنسان يخطئ ويصيب، وهو مركب الخطأ والنسيان، فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. وهذا هو دأب العلماء قديمًا وحديثًا.

*** موقفه من الحديث النبوي:**

دخل الشيخ المودودي خلال كتاباته ـ وللأسف الشديد ـ في بعض المواضيع الشائكة أيضًا التي لم يكن يحسنها، فوقع فيما لا تحمد عقباه من الأخطاء والزّلات، ونبّهه العلماء عليها، ولكنّه ـ مع ادعائه لرحابة صدره في الرجوع إلى الحق، وترحيبه بالنقد البنّاء ـ لم يرجع عنها.

ومن هذه المواضيع موقفه من الحديث النبوي، الذي نراه ثابتًا لم يطرأ عليه تغيير يذكر. وكتاباته حول نقد منهج المحدثين، والإسناد والمتن، والرواية

= وقد قام بالردّ على هذا الكتاب عديد من علماء شبه القارة الهندية دفاعًا عن الصحابة ﷺ.

(١) وإليكم بعض المسائل منها:

ـ تأويله لآيات الصفات، وعدم إمراره إياها كما جاءت، وذلك في تفسيره «تفهيم القرآن».

ـ وتأويله لبعض المعجزات، مثلاً قال في تفسير آية: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] ما معناه: «يفهم من هذه الآيات أن داود ـ عليه السلام ـ حينما كان يحمد اللّه تعالى، ويثني عليه، كانت الجبال ترتج بصوته الندي الجميل، والطيور تتوقف، وطرأت كيفية عجيبة» (تفهيم القرآن: ٣/ ١٧٥) هذا التأويل «لتسخير الجبال» (أي: ارتجاج الجبال بالصوت) ليس خاصًا بداود عليه السلام ـ بل «الارتجاج» والصدى يحصل بصوت كل واحد من الناس. ولأجل هذا عقب عليه الشيخ عبدالماجد الدريابادي قائلاً: «إن هذا المعنى لتسخير الجبال لداود ـ عليه السلام ـ ليس تفسيرًا للقرآن، بل هو تحريف له. (التفسير الماجدي: الأنبياء ٧٩).

ـ وقلة الاهتمام بالأحاديث في فهم القرآن.

والدراية مضطربة، ونقده لبعض أحاديث الصحيحين يلقى رواجًا في أوساط الجماعة الإسلامية بدعوى حرية التفكير والتحقيق في النظام الإسلامي. وخاصةً مقاله «مسلك الاعتدال»[١] المطبوع في التفهيمات، الذي أبدى فيه آراء متفككة في ظنية خبر الآحاد، وخرج على منهج المحدثين في نقد الحديث، ونظر إليه بنظر الريبة والشكّ. كما ردّ فيه على طائفة منكري الحديث، انتقد على أنصاره أيضًا، ما ينشئ جراثيم لرفض الحديث، ويفتح أبوابًا سرّية لإنكاره، أمام أصحاب العقول المريضة، والأفكار السقيمة الذين يبحثون عن كلمات يتخذونها شبكة يصيدون بها سفهاء الأحلام، وصغار العقول.

وقد وقع ما كان يُخَافُ منه، هذا «غلام أحمد برويز» رئيس طائفة منكري الحديث، استشهد بكلام الشيخ المودودي على تأييد وجهة نظره الرافضة للحديث مرّات، وخاصة استغل هو وزملاؤه «التفهيمات» للشيخ المودودي، للردّ على أنصار الحديث في كثير من الأحيان، حتى قال هذا الغلام مستفزًا الجماعة الإسلامية:

«عقيدتي وعقيدة الشيخ المودودي في قضية إنكار الحديث سواسية، فلا تناقشني الجماعة الإسلامية فيها بدون طائل»[٢].

وأضاف إلى ذلك أن أول مقال ضدّ الحديث لهذا الغلام نشر بعنوان «عبودية الشخصية» في مجلة «ترجمان القرآن» للشيخ المودودي. وأيّده في ذلك الوقت إلى حد كبير[٣].

لم يكن الشيخ المودودي منكرًا للحديث مثل «غلام أحمد برويز» (معاذ

---

(١) وهو أحرى بأن يسمى «مسلك الاعتزال».

(٢) «إضاحة الحق» للقريشي (ص٧٤ ـ مقال الشيخ محمد يونس الدهلوي) نقلاً عن «طلوع إسلام» عدد إبريل ـ مايو ١٩٥٥م.

(٣) «موقف الجماعة الإسلامية من الحديث» (ص٤٤ ـ مقدمة الفوجياني ـ طبعة الكويت).

اللَّه)، ولا يقول ذلك إلا معاند بل هو ردّ على هذا الغلام وغيره من منكري الحديث في كتاباته، حتى ألّف كتابه «المكانة التشريعية للسنّة» ولكن إذا نُظِرَ إلى كتاباته المتعلقة بالحديث بمنظار المحدّثين تتصل حدودها بإنكار السنّة. وذلك لنقد منهج المحدثين نقدًا حرًا بدون التقيد بالقواعد والأصول، ورميه إياهم بالاتكال على الرواية دون الدراية وتشكيكه في صحة بعض أحاديث الصحيحين، وخلطه في مبحث ظنّية خبر الآحاد[1].

وهناك نقاط تشبث بها منكرو الحديث قديمًا وحديثًا للرد على الأحاديث الصحيحة كما ذكرها الشيخ المودودي نفسه في «التفهيمات» (١/ ٣٥٤)، والفرق بينهم وبينهم هو الفرق ما بين الرد الجزئي، والرفض الكلي؛ لأنهم يعممون هذه القواعد ويجعلونها معياراً على السنة، والشيخ يردّ بها بعض الأحاديث الصحيحة وقد قال بعد ذكر هذه النقاط، وهو بصدد الرد على منكري الحديث «يستدلون بهذه الأفراد على رفض المجموعة الحديثية كلها، وهذا أشبه بالاستدلال بشرور عدة أفراد من الجماعة على شرور الجماعة كلها» (التفهيمات١/ ٣٥٤).

ومن خلال التتبع لكتابات الشيخ المودودي نجده يرد بعض الأحاديث الصحيحة لمخالفة الحديث للعقل والذوق، أو مخالفته للقرآن، أو مخالفته للوقائع التاريخية.

وبعض النقاط في كتابات المودودي لرد الأحاديث الصحيحة لا يؤدي إلا إلى عدم الثقة بجهود المحدثين، وإلى تأليه العقول والذوق إزاء الأحاديث الصحيحة.

ومن الأحاديث التي ردّها الأستاذ المودودي «حديث الكذبات الثلاث»[2].

---

(١) «زوابع في وجه السنة» لصلاح الدين مقبول (ص١١٨ ـ ١٢١).

(٢) رواه البخاري ـ كتاب البيوع ـ باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، و«صحيح =

❑ وحديث سليمان عليه السلام «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة...» وفي رواية «تسعين» وهو أصح[١].

وردّ المودودي حديث الجسّاسة والدجال الذي رواه مسلم (٢٩٤٢)، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن أبي شيبة في «مصنفه»، وأحمد، والطيالسي عن فاطمة بنت قيس، وأبو يعلى في مسنده عن جابر.

وقد سئل الأستاذ المودودي عن الدجال: «يشهر عن المسيح الدجال بأنه مقيد بالسلاسل في مكان ما، فما هو المكان الذي حُبس فيه، وقد وصل الإنسان اليوم في كل زاوية من زوايا الدنيا، فما هو السبب بأنه لا يوجد له خبر ولا أثر الآن»[٢].

❑ ردّ عليه الشيخ المودودي بما يأتي:

«هذا المسيح الدجال وغيره من الأساطير[٣]، التي ليست لها أي حيثية شرعية، وأيضًا لسنا في حاجة إلى البحث عن مثل هذه الأشياء، والإسلام ليس مسئولاً عما اشتهر بين العامة من الناس من هذه الأمور. فإن ثبت خطأ بعضها لا يتضرّر به الإسلام شيئًا؟!»[٤].

❑ تعقبه سائل على ذلك، فقال:

«سُئِلتَ في مجلة «ترجمان القرآن» عما هو مشهور عن المسيح الدجال،

= مسلم» (٢٣٧١)، وسنن أبي داود (٢٢١٢)، و«جامع الترمذي» (٣١٦٥).

(١) «صحيح البخاري» أحاديث الأنبياء ـ باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾، و«صحيح مسلم» (١٦٥٤)، وسنن النسائي (٧/ ٢٥).

(٢) «الرسائل والمسائل» للمودودي (١/ ٤٤ ـ ٤٥) تحت عنوان «القرآن والحديث والحقائق العلمية».

(٣) ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

(٤) «الرسائل» (١/ ٤٦) (نقلاً عن مجلة «ترجمان القرآن» عدد رمضان ـ شوال ١٣٦٤هـ سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٤٥م).

بأنه محبوس في مكانٍ ما، فما هو المكان، وقد وطئت أقدام الإنسان كل ناحية من نواحي الدنيا، فلماذا لا يوجد له أثر ولا خبر؟

ورددت على السائل «بأن المسيح الدجّال وغيره من الأساطير التي ليس لها أي حيثية شرعية».

ولكن لحد علمي ورد ذكر الدجال على الأقل في ثلاثين رواية، ويمكن تصديقه بالرجوع إلى «صحيحي البخاري ومسلم»، و«سنن أبي داود» و«جامع الترمذي»، و«شرح السنة»، و«سنن البيهقي».

فعلى ماذا ينبني ردك على السائل عن المسيح الدجال؟»[1].

فرد الشيخ المودودي على السائل: «إن الأمر الذي تحققت فيه أنه «أسطورة» هو ذلك الوهم الذي يؤكد أن الدجال محبوس في مكان ما»!!!.

*** إصرار الشيخ المودودي على موقفه من الحديث وردّ العلماء عليه:**

لقد أصرّ الشيخ المودودي على هذا الموقف من الحديث رغم المناقشات الكثيرة التي دارت حوله بينه وبين علماء شبه القارة الهندية وتبناه أصحابه أيضًا ـ إلا من رحم ربّهم ـ ودافعوا عنه. حتى سهل الآن على العامّة منهم فضلاً عن الخاصة أن يردّوا بعض أحاديث «الصحيحين» بدون أي مبالاة، معتمدين على كتاباته بهذا الصدد[2].

وقد طلب من الشيخ بعضُ المحبّين له، والمخلصين لدعوته الرجوع عن الكتابات التي تقلّلُ أهمية الحديث، وخاصّةً ما ورد في «مسلك الاعتدال»، وأثار ضجّة في الأوساط الدينية، وعوّق سير الدعوة. ولكنه لم يزل مدافعًا

(١) «الرسائل والمسائل» (١/ ٤٧) تحت عنوان «تحقيق حديث الدجال».

(٢) زد إلى ذلك أن كتابه «مسلك الاعتدال» الذي يعتبر قاعدة كلّية لنقد منهج المحدثين ـ حسب زعمه ـ نُشِرَ أخيرًا في الكويت للتوزيع مجّانًا، تعصبًا لرأيه فقط؛ لأنه لا يخدم أي جانب من جوانب الدعوة. فنسأل اللّه السلامة!.

عن موقفه، محاولاً إقناع المعارضين له من غير أن يطرأ عليه أي تغيير[١] .

ولأجل إصراره على هذه الموقف من الحديث ردّ عليه كثير من العلماء في كتبهم المستقلّة، غير البحوث والمقالات المنشورة في الجرائد والمجلاّت[٢] .

ومنهم:

ـ الشيخ أبو الوفاء ثناء اللّه الأمرتسري.

ـ والشيخ الحافظ محمد الغوندلوي.

---

(١) راجع الاستدراك على «مسلك الاعتدال» المنشور في آخره، و«الرسائل والمسائل» (١/ ٢١٩ ـ ٢٣٥) حيث ردّ على السائلين عن هذا الموضوع بعناوين مختلفة، مثلاً: «الحديث والفقه»، و«حرّية التحقيق في النظام الإسلامي للجماعة»، و«مكانة الإسناد والتفقّه في تحقيق الأحاديث».

(٢) أما الردود على الشيخ المودودي في مجالات أخرى مختلفة فتبلغ حسبما عرفت بالأرقام (مائة وعشرة كتب) ما بين صغير وكبير، ورطب ويابس، وعنيف وليّن.

ردّ عليه من علماء «ديوبند» الأحناف المعروفين:

ـ الشيخ حسين أحمد المدني.

ـ والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي.

ـ والشيخ ميان محمد الدهلوي.

ـ والسيد مهدي حسن (مفتي ديوبند).

ـ ونظرة عابرة في فهرس الردود على الشيخ المودودي، تكشف أيضًا عن أسماء بعض الشخصيات المعروفة على مستوى العالم الإسلامي، التي التزمت بالجماعة الإسلامية، ثم انفكّت عنها. وألفّت في تحديد مواضع الضعف في الجماعة وأميرها حسب تجاربها.

ومن هذه الشخصيات:

ـ السيد أبو الحسن علي الندوي.

ـ والأستاذ أسرار أحمد.

ـ والأستاذ وحيد الدين خان.

ـ والأستاذ عبيداللّه الكاشميري.

ـ والشيخ منظور أحمد النعماني ـ وغيرهم.

ـ والشيخ عبدالله الأمرتسري الروبري.

ـ والشيخ عبدالرؤوف الرحماني.

ـ والشيخ محمد إسماعيل السلفي.

ـ والشيخ عبدالمبين منظر البستوي.

ـ والشيخ الحافظ محمد صلاح الدين يوسف.

❑ وقال العلامة محمد إسماعيل السلفي ردًّا على «مسلك الاعتدال» للشيخ المودودي:

«وخاصة «مسلك الاعتدال» فقد قاءت فيه مزبلة الدماغ حثالة أفكارها بدون اعتدال. فلو أن أحدًا من منكري الحديث كتبه لم يكتب إلا ذلك»[1].

غفر الله له وأجزل له المثوبة جزاء حسناته وعفا عن هفواته.

* * *

(١) «موقف الجماعه الإسلامية من الحديث النبوي» (ص١٢٨) الدار السلفية بالكويت.

* عالم عصره وعلاّمة مصره مربّي الرجال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ:

ولد ـ رحمه اللّه ـ في الرياض سنة ١٣١١ هجرية.. وتلقى علومه على أيدي الصفوة من علماء مصره وفي مرض موت عمه الشيخ عبداللّه بن عبداللطيف أوصى الشيخ الملك عبدالعزيز به خيراً، وأعلمه بكفاءته العلمية والشخصية، وأنه يصلح أن يكون خليفة عنه بعد مماته في كل ما كان يقوم به من نشر العلم والدعوة إلى اللّه تعالى والإفتاء وحل المشكلات العامة وتذليل الصعاب. ولما توفى عمه عين الملك عبدالعزيز الشيخ محمد بن إبراهيم خلفًا له في الإفتاء والتدريس وعمره ٢٨ عامًا. «فصار مرجع الناس في الإفتاء، وإمامًا للناس في الفروض الخمسة في مسجد الشيخ، وشيخ العلم والتعليم فيه أيضًا، فكان يجلس فيه لطلبة العلم من بعد صلاة الفجر حتى بعد صلاة العشاء، تقرأ عليه الأفواج في جملة من العلوم الشرعية والعربية، وهو بين ظهرانيهم مَعين لا ينضب، ونشاط لا ينقطع، وعلم لا ينحسر، ودأب عجيب دائم، لا يُغني هذا الكلام عن تصوره حقيقة، ولذا سأدع الحديث هنا لفضيلة الشيخ عبداللّه بن عبداللطيف، إذ يقول في ترجمته في كتابه «مشاهير علماء نجد» (ص١٧٠) وهو يتحدث عن طريقة تدريس الشيخ وأوقات جلوسه للتعليم والمستفيدين[1] : كان الشيخ ـ رحمه اللّه تعالى ـ إذا صلى الفجر، جلس في المسجد يقرأ عليه صغار الطلبة في كتاب «الآجرومية» في النحو، وبعدهم يقرأ عليه متوسطو الطلبة في كتاب «القطر» لابن هشام في النحو، وبعدهم يقرأ عليه كبار الطلبة في «ألفية ابن مالك» وشرح ابن عقيل عليها في النحو أيضًا.

(١) «تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر» لعبدالفتاح أبي غدة (ص٢٦٤) ـ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

❑ فإذا انتهوا من قراءة النحو في «الألفية» وشرحها، قرأوا عليه في الفقه من متن «زاد المستقنع» غيبًا، فإذا قرأ آخرهم وسكت، أخذ الشيخ في قراءة ما قرأوه من المتن من حفظه، وشرع يتكلم على بعض العبارات، ويوضح معاني الكلمات، فإذا انتهى شرع أحد الطلاب في قراءة شرح «الزاد» المسمى «الروض المربع شرح زاد المستقنع»، قراءة ترتيل، يقف عند كل فقرة وجملة، والشيخ يُعلق على عبارات الشارح وجمله، بكلام يوضح المعنى ويزيل الإشكال، ويصور المسائل تصويرًا ملموسًا، يقرِّب المعاني الفقهية إلى أذهان الطلبة، ويقرر قواعدها في نفوسهم.

فإذا انتهى من تقريره على الفقه، شرعوا في القراءة عليه في «بلوغ المرام» فإذا أشارت الساعة إلى الواحدة نهارًا ـ بالتوقيت الغروبي وذلك وقت الضحى ـ انصرف إلى داره وجلس فيها فإذا حانت الساعة الثالثة، جاءه كبار الطلبة وخواصهم، وقرأوا عليه إلى الساعة الخامسة قبيل الظهر، ثم انصرفوا، فإذا أُذِّن بالظهر، خرج وصلى بالناس في المسجد، وجاءه أهل المطولات وقرأوا عليه في مختلف الكتب، كـ «جامع الترمذي»، و«صحيح البخاري» و«زاد المعاد»، فإذا انتهوا قرأ عليه بعض الطلبة في المتون العلمية غيبًا، مثل «كتاب التوحيد» و«العقيدة الواسطية».

❑ فإذا أُذِّن بالعصر خرج إلى داره وجدّد الوضوء، ثم رجع وصلى بالناس العصر، وجلس في المسجد يقرأ عليه أحد أعيان الطلبة في بعض الردود، فإذا انتهى قرأ عليه جملة من الطلبة في مصطلح الحديث، فإذا انتهوا قرأوا عليه في «العقيدة الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، فإذا بقي إلى أذان المغرب مقدار نصف ساعة خرج إلى داره.

❑ فإذا أُذن بالمغرب جاء وصلى بالناس، ثم جلس في المسجد للطلبة، يقرأون عليه علم الفرائض والمواريث، فإذا حان أذان العشاء، قام من حلقة درس الفرائض إلى الصف الأول في المسجد، وتنفل بركعات، ثم أمر

القارئ، فشرع يقرأ عليه في «تفسير ابن كثير» إلى الساعة الثانية والنصف، فيأمر بإقامة صلاة العشاء، فإذا أقيمت وصلى بالناس تنفّل وأوتر، وخرج إلى داره وهي قريبة من مسجده.

وكان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ لا يدع طالب العلم المبتدئ يقرأ عليه في الفقه والمطوّلات، حتى يقرأ عليه في مختصرات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فإذا قرأها عليه عن ظهر قلبه، سمح له في القراءة عليه في مختصر «المقنع» وغيره في كتب الفقه، وفي القراءة في «بلوغ المرام» وغيره من كتب أحاديث الأحكام وشروحها، و«الروض المربع» فكان يربي الطلبة بصغار العلوم قبل كبارها. وقد استمر على هذا الترتيب في الدروس بهذه الصفة، إحدى وأربعين سنة من عام ١٣٣٩ إلى عام ١٣٨٠، حيث ترك جميع الدروس ما عدا درس الفقه و«بلوغ المرام»، فإنه لم يترك الجلوس لهما بعد صلاة الفجر، إلى أن حبسه المرض، فاقتصر على درس التفسير قبيل القيام إلى صلاة العشاء يُقرأ عليه في تفسير ابن جرير الطبري «انتهى كلام الشيخ عبداللَّه بن عبداللطيف.

وهذه حقبة كبيرة من الزمن في عمر الرجل العالم ٤١ عامًا: تعليمًا وتدريسًا وتفقيهًا وتحديثًا، فقد كان الشيخ «أمة» في جسد رجل، وكان مسجده «جامعة» في قلب نجد، ملأت بلاد نجد وغيرها علمًا، وأنارتها بعلوم الشريعة، قبل أن تُبنى مدارس التعليم والمعاهد والكليات والجامعات، التي هي أثر من آثار نهضة الشيخ العلمية ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وجزاه عن العلم والدين والإسلام خيرًا.

وكانت علوم الشيخ عيونًا صافية متدفقة، أروت الظماء، وأنشأت العلماء، وأسس الشيخ بجهوده المخلصة لنهضة علمية كبرى، فقد تخرّج به أعداد كبيرة لا تُحصى من العلماء والمحصّلين، وحسبك أن تعلم أن جُلّ أكابر

علماء المملكة اليوم هم من تلاميذه، وهم الذين يشغلون أعلى المناصب العلمية والدينية، ويملأون مناصب القضاء والإفتاء والتدريس والوعظ والإرشاد والدعوة إلى اللَّه تعالى.

يبني الرجال وغيره يبني القرى شتان بين قرىً وبين رجال[1]

*** تلامذته وأبناؤه في العلم:**

أمضى الشيخُ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ كلَّ عمره الشريف في التعليم ونشر العلم والدعوة إلى اللَّه تعالى..، وقد عاش نحو ثمانين عامًا، عاش منها فوق خمسين عامًا يَنشُرُ تلك الفضائل، ويَبُثُّ ذلك الخيرَ في أبناء الأمة، فما تكادُ تجدُ عالمًا كبيرًا في هذه الديار إلاَّ وهو من تلامذته، أو من الطبقة التي أخَذَتْ عن تلامذته، وهم جميعًا مُستقون من مَعينه، مُتعلِّمون بين يديه، ومتتلمذون عليه، فحَصْرُ تلاميذه عَدَدًا وتسميةً أمرٌ عسيرٌ، لا يُمكِن انضباطُهُ.

فشيوخُ العلم الكبار والجامعات الإسلامية والكليات والمعاهد العليا، وشيوخُ القضاء والإفتاء، وشيوخُ المعاهد المتقدمين في العلم هم من طلابه، وهذا أمرٌ معروفٌ، ونَسبٌ شريف يَتفاخَرُ به المنتسبون إلى حلقة الشيخ في هذه الديار النجدية، ويَعتَزُّون به. وما كان بي من حاجة إلى تسميةِ أحد منهم، لولا أن البعيدَ عن هذه الديار، إذا سَمعوا أسماءَ بعض تلامذة الشيخ الذين هم من كبارِ أهل العلم اليوم، زادَتْ معرفتُهم بمقام الشيخ العلمي وزعامتُه الدينية الوارفة، فمن أجلِ هؤلاء أسوق بعضَ الأسماء، معتذرًا عن عدم الاستيفاء[2].

(١) «تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي» (ص٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٢) الأسماءُ المذكورة جلُّها منقول من ترجمة الشيخ في كتاب «مشاهير علماء نجد» للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، وهناك أسماءٌ كثيرةٌ أخرى.

١ ـ سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حُمَيد، الرئيس الأعلى لمجلس القضاء.

٢ ـ سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز، الرئيس العام لإدارة الإفتاء والبحوث والدعوة.

٣ ـ معالي الشيخ عبدالملك بن إبراهيم، شقيق الشيخ، والرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف بالمنطقة الغربية.

٤ ـ معالي الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم، نجل الشيخ، ومدير جامعة الإمام محمد بن سعود قبل تقاعده.

٥ ـ معالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، نجل الشيخ، ووزير العدل قبل تقاعده.

٦ ـ الشيخ سليمان بن عبيد آل سلمى، رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة.

٧ ـ معالي الشيخ عبدالله بن سليمان المِسعَري، رئيس ديوان المظالم في المملكة سابقًا.

٨ ـ العَلاَّمة الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الوسطى والشرقية.

٩ ـ معالي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، رئيس هيئة الأمر بالمعروف في المملكة ووزير المعارف سابقًا.

١٠ ـ العَلاَّمة الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل، نزيل مدينة أبها ومفتي عسير ورئيس قضاتها.

١١ ـ الشيخ عبدالرحمن بن فارس، أحد قضاة مدينة الرياض أيضًا.

١٢ ـ الشيخ عبدالرحمن بن سعد، القاضي، من بلدة مَلْهَم.

١٣ ـ الشيخ إبراهيم بن سليمان من آل مبارك، قاضي بلدة الخَرْج والأفلاج.

١٤ ـ الشيخ سعد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن رُوَيشِد.

١٥ ـ الشيخ إبراهيم بن عبدالله آل الشيخ، ابن أخي الشيخ.

١٦ ـ الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن الشيخ حمد بن عتيق.

١٧ ـ الشيخ عبدالعزيز بن عجلان، من بلدة نَعَام المعروفة.

١٨ ـ الشيخ محمد بن مسلم آل عثيمين، قاضي مدينة تبوك والبِدَع.

١٩ ـ الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن فَرَيّان.

٢٠ ـ الشيخ راشد بن صالح بن خُنَيْن، وكيل ثم المستشار في الديوان الملكي.

٢١ ـ الشيخ سعود بن رُشُود، رئيس محكمة الرياض.

٢٢ ـ الشيخ سعد بن محمد بن فيصل آل مبارك، قاضي مدينة شقراء.

٢٣ ـ الشيخ محمد بن مُهَيزِع، أحد القضاة في مدينة الرياض.

٢٤ ـ الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، جامع «مجموع فتاوي ابن تيمية».

٢٥ ـ الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم العاصمي، نجل المذكور قبله ومعينه في جمع «الفتاوي».

٢٦ ـ الشيخ أحمد بن عبدالرحمن بن قاسم العاصمي، أمين مكتبة كلية الشريعة بالرياض.

٢٧ ـ الشيخ محمد بن الأمير، أحد قضاة المحكمة الكبرى في الرياض.

٢٨ ـ الشيخ صالح بن محمد بن لحيدان، رئيس الهيئة القضائية العليا.

٢٩ ـ الشيخ محمد بن جبير رئيس ديوان المظالم في المملكة رئيس مجلس الشورى.

٣٠ ـ الشيخ زيد بن فياض الوهبي التميمي مؤلف الروضة الندية وغيرها.

٣١ ـ الشيخ عبدالرحمن بن عتيق، القاضي.

٣٢ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الخضيري، القاضي.

٣٣ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الراجحي، أحد المدرسين.

٣٤ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الراشد، أحد المدرسين.

٣٥ ـ الشيخ محمد بن فُوزان بن مُشرف، أحد المدرسين.

٣٦ ـ الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، العلامة المحدث الفقيه الباحث في دار الإفتاء.

٣٧ ـ الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن جابر، القاضي.

٣٨ ـ الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن بن قاسم العاصمي، أحد المدرسين.

٣٩ ـ الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع، القاضي سابقًا، من هيئة كبار العلماء.

٤٠ ـ الشيخ صالح بن علي الغصوب، العلامة عضو مجلس القضاء الأعلى.

٤١ ـ الشيخ حسن بن عبداللطيف المانع، العلامة المدرس.

٤٢ ـ الشيخ علي بن عبدالله بن مسلم.

٤٣ ـ الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن شلهوب، مدير معهد إمام الدعوة العلمي سابقًا.

obeikandl.com

٤٤ ـ الشيخ عبدالله بن سليمان المعيوف.

٤٥ ـ الشيخ عبدالرحمن بن محمد الهويمل، قاضي الرياض.

٤٦ ـ الشيخ عبدالعزيز بن خلف بن عبدالله الخلف، القاضي وصاحبُ كتاب: نظرات في كتاب حجاب المرأة المسلمة للألباني.

٤٧ ـ الشيخ محمد بن خلف بن عبدالله الخلف، القاضي.

٤٨ ـ الشيخ عبدالعزيز بن محمد العريفي، القاضي.

٤٩ ـ الشيخ مُقبِل بن عبدالله العصيمي، القاضي.

٥٠ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، المدرّس.

هذه شَذْرَة من أسماء تلامذة الشيخ، لا تُعبِّر عن عددهم إطلاقًا، فهم لا يُحصَون كثرةً كما أسلفتُ، وإنما تُعبِّرُ عن نموذج للمستوى العلمي الرفيع الذي نهض به الشيخُ، وخلَّفه في أبنائه أكابِر العلماء في هذه الديار السعودية.

وهذه شَذْرَةٌ من تاريخ حياته الحافلة بالمآثر والعطاء والمحامد الشمَّاء، فللَّه دَرُّه وبِرُّه، واللَّهُ المرجوُّ أن يتغمده بواسع رحمته، ويُسبِغَ عليه شآبيب رضوان العظيم.

وما كلُّ ما فيه من الخير قلتُهُ وما كلُّ ما فيه يقولُ الذي بعدي[1]

*** اهتمام الشيخ بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

كانت الدعوة إلى اللَّه شعار الشيخ وحليته، وكان له فيها اليد الطولى.

«وبداية رحلة الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ في الدعوة إلى اللَّه أن أرسله الملك عبدالعزيز ـ رحمه اللَّه ـ ناصحًا ومرشدًا لأهل الغطغط لما رأى تشديدًا منهم

(١) المصدر السابق (ص٢٨٥ ـ ٢٩٠).

في الدين وتكفيرًا وغلوًّا ينافي الشرع وذلك سنة ١٣٤٥هـ وعمره ٣٤ سنة، فأخذ يناصح الإخوان ويسايسهم بحكمة ويبين لهم أحكام الشرع وما يجب عليهم من طاعة ولاة الأمور، وأقام ـ رحمه اللَّه ـ بين ظهرانيهم ستة أشهر صاحبه فيها أخوه الأصغر عبدالملك بن إبراهيم كاتبًا ومرافقًا وحمل معه كتبًا للمطالعة فشرح للإخوان أصول التوحيد وضوابط التكفير، وبيّن لهم عبارات أئمة الدعوة وفسّرها، واحتج لهم بالنصوص الشرعية وقعدّ لهم في ذلك القواعد، فأفادهم في ذلك أدلة سمعية وعقلية، فتراجع منهم مجموعة، ولكن بعضهم بثّ فيهم روح الشقاق وعدم القناعة، فعلم الشيخ أنهم يكيدون له، وأنهم يرومون قتله، فأمر بتجهيز مطيته، وحمل عليها كتبه ليلاً وما خفّ من متاع، ثم تركها عائدًا إلى الرياض»[1].

*** آثاره الباقية في إقامة مناهل العلم والدين:**

لم يكن يُقنِع الشيخ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ما رآه من كثرة الطلبة والعلماء حوله، فقد رغب أن يعمّ هذا الازدهار العلمي الأطراف البعيدة والقريبة في المملكة، على وجه نظامي موسع، ليُدخل العلم إلى كل قرية وبلد، فرأى في عام ١٣٦٩ أن يُنشأ في الرياض معهد علمي نظامي يكون تحت نظره وإشرافه، حتى يحتذَى به في إنشاء أمثاله في بقية البلاد السعودية، وتمّ افتتاح المعهد العلمي بالرياض في سنة ١٣٧١ تحت نظر الشيخ وإشرافه، ثم رأى إنشاء «كلية الشريعة في عام ١٣٧٣هـ تحت إشرافه أيضًا، واستقبلت خريجي المعهد العلمي، وكانوا طلائع الخير للأفواج المتلاحقة. ورأى الشيخ أن يعمم هذه الثمرة العظيمة في أنحاء المملكة، فتحصّل في عام ١٣٧٤هـ على أمر ملكي، يخوّله افتتاح فروع لهذا المعهد في سائر جنبات المملكة كما

(١) «إتحاف النبلاء بسير العلماء» لراشد بن عثمان الزهراني (١/ ٩٤ ـ ٩٥) ـ دار الصميعي.

يريد، فأمر سماحته بافتتاح ستة معاهد. ورأى سماحته أن يكون للغة العربية كلية مستقلة فأنشئت كلية اللغة العربية بالرياض في عام ١٣٧٤، وكانت تحت إشرافه أيضًا.

ثم تتابع افتتاح المعاهد العلمية في سائر أنحاء المملكة. وأنشأ مكتبة عامة تتوافر فيها الكتب النادرة في الرياض ١٣٧٠هـ تحت إشرافه ونظره. وجلب لها أمهات الكتب ونوادر المخطوطات.

❑ ثم اتجه نظره إلى نشر العلم بين أبناء المسلمين قاطبة فأُنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨١ تحت إشرافه ورئاسته وكان ـ رحمه اللَّه ـ وراء إنشاء المعهد العالي للقضاء بالرياض في عام ١٣٨٥، وتم افتتاحه عام ١٣٨٧، تحت إشرافه وبرئاسته أيضًا.

❑ وفي سنة ١٣٧٣ أُنشئت دار الإفتاء والإشراف على الشئون الدينية تحت رئاسته.

وكان الشيخ يُستفتَى في كبار المسائل وصعابها من داخل المملكة وخارجها، فيجيب السائلين ويُفيد المستفتين حتى تكوّن من فتاواه مجلدات كثيرة.

❑ وفي سنة ١٣٧٦هـ أُنشئت رئاسة القضاء في نجد وملحقاتها والمنطقة الشرقية والشمالية وأسندت رئاستها إليه، ثم ضُمت إلى رئاسة القضاء في الحجاز سنة ١٣٧٨، ثم توحدت رئاسة القضاة فيه، وأنشأ في عهد رئاسته كثيرًا من المحاكم الشرعية في بلدان المملكة، وأقام فيها قضاة أفاضل من خيار تلامذته وطلابه.

ومن مناصبه أيضًا:

ـ رئاسة دور الأيتام. ـ الإشراف على رئاسة تعليم البنات. ـ رئاسة معهد إمام الدعوة ـ رئاسة المعهد الإسلامي في نيجيريا. ـ رئاسة المجلس الأعلى لرابطة

العالم الإسلامي. ـ رئاسة مؤسسة الدعوة الصحفية. ـ الإشراف على نشر الدعوة في افريقيا. ـ الإشراف على ترشيح الأئمة والمؤذنين والوعاظ والمرشدين. ـ رئاسة هيئة التمييز وكان إلى جانب هذه المهام التي تنوء بها العصبة أولو القوة خطيب الجامع الكبير، وإمام الفروض الخمسة في مسجده.

❑ وكان قد بدأ في إنشاء «مجلس هيئة كبار العلماء» واعتُمدت له ميزانية مالية لعام ١٣٨٩، غير أن الأجل وافاه قبل أن يباشر المجلس أعماله.

هذا موجز تقريبي للأعمال التي كان ينهض بها ذاك العَلَم المفرد، ويملأها بعلمه وحلمه وحكمته وحصافته وصبره وجلده، وما أصدق قول الشاعر البحتري في مثله:

قلبٌ يُطِـلُّ على أفكـاره وَيـدٌ تُمضي الأمور ونفسٌ لهوها التعبُ

وإن الدارس لحياته ليُدهش من هذا الدأب العجيب، والجلد المتواصل، والتوازن العظيم الذي يتحلّى به هذا الإمام الجليل، والتوازن في الرجال، عند إدارة الأعمال، من أغلى الصفات وأندرها، فكان يُصرف أمور التعليم والقضاء، والإفتاء، والإدارة في كل تلك المرافق الهامة والواسعة بصمت كامل، وحكمة وروية، دون دعاية ولا ضوضاء ولا إعلان، ويقوم مع هذا كله بالتعليم بنفسه، وبالتأليف، دون أن يطغى منه جانب على جانب، فللّه دره ما كان أقواه عزمًا وحزمًا وجلدًا ودأبًا في ميادين الخدمة للإسلام والمسلمين.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسامُ

❑ وللشيخ ـ رحمه اللّه ـ فتاوى جامعة، في العبادات والمعاملات والعقائد، وقد جمعها وجُلّ رسائل الشيخ ومكاتيبه، وطائفة كبيرة من محفوظاته، تلميذه الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن القاسم، وطبعت في ١٣

جزءًا بعنوان «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ».

«وفي هذه الفتاوى والرسائل نماذج كثيرة حيّة ناطقة بعمق نظره في الفقه الإسلامي، ودقة نظره في القضاء، وشده اجتنابه من المداهنة في دين اللَّه تعالى، مع الانتباه التام لدخائل ودسائس أهل الأهواء والقلوب المريضة في شئون الدين»[١].

يقول عنه الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة: «له هيبة في الصدور كهيبة الملوك»[٢].

ومات الشيخ محمد بن إبراهيم في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان عام ١٣٨٩هـ.

قال أبو غدة: «كانت الفجيعة به فادحة جدًّا، والأسف عليه عظيمًا، والمصابُ به جللاً عامًا، والثناء عليه وعلى جهوده وجهاده طيبًا عطرًا، أثنت عليه الألسنة البعيدة والقريبة خيرًا، وترك فراغًا كبيرًا لم يُملأ بعده، فقد كان صرحًا رفيعًا للعلم وأهله، وسياجًا منيعًا للدين وذويه، ونصيرًا للإسلام والمسلمين في بلده وخارج بلده..

نعم لقد مات هذا الإمام الهمام والعالم المهيب، الذي كانت هيبته في نفوس أهل الشطط ورعاة التفرنج والشرود عن الجادة أشد رهبة من عصا السلطان القامعة الزاجرة المؤدبة، تحجمهم عن بوائقهم ومفاسدهم. فكان فقده كما قال القائل:

وما كان قيس هُلْكُه هُلْكَ واحد ولكنه بنيـــان قــوم تهدَّمـا[٣]

(١) «تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي» (ص٢٧٤ ـ ٢٧٥).
(٢) المصدر السابق (ص٢٨٤).
(٣) المصدر السابق (ص٢٨٥).

❑ يقول الشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ الذي لو لم يكن للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ من حسنات إلا هذا الإمام لكفى ـ تلميذ الشيخ:

«لقد أكرمني اللَّه سبحانه وتفضّل عليّ وله الحمد والمنة بأن كنت من أخصّ تلامذة شيخنا المذكور، لازمته نحو عشر سنين في عام ١٣٤٧هـ إلى عام ١٣٥٧هـ ثم تعينت في القضاء بعد ذلك لكني لم أنقطع عن الاتصال به وسؤاله عن كل ما يشكل والاستفادة من علومه وتوجيهاته إلى أن توفى ـ رحمه اللَّه ـ وقد حضرت له مواقف مشرفة، وشاهدت منه أعمالاً موفقة في نفع المسلمين والغيرة على الإسلام والرد على خصومه، أجزل اللَّه له المثوبة، وكان يوصي الطلبة كثيرًا بالدعوة إلى اللَّه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وكان واسع العلم كثير الخوف من اللَّه سبحانه، ومناقبه وفضائلة كثيرة جدًّا»[1].

*** الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي أعلم الناس بتفسير القرآن بالمأثور في قرننا:**

❑ قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: مُلئ علمًا من رأسه إلى أخمص قدميه».

وقال أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ: «آية في العلم والقرآن واللغة وأشعار العرب».

وقال سماحة الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ: «أعرف من الشيخ.. العلم الواسع بالتفسير واللغة العربية وأقوال أهل العلم في تفسير كتاب اللَّه عز وجل والزهد والورع والتثبت في الأمور، ومن سمع حديثه في التفسير

(١) «إتحاف النبلاء بسير العلماء» لراشد بن عثمان الزهراني (ص١٠١).

يعجب كثيراً من سعه علمه واطلاعه وفصاحته وبلاغته ولا يمل سماع حديثه، فرحمه اللَّه رحمة واسعة ونفع المسلمين بعلمه[١] .

❑ وقال عنه الشيخ الألباني: «من حيث جمعه لكثير من العلوم، ما رأيت مثله «وشبهه بابن تيمية».

❑ وقال عنه الشيخ حمّاد الأنصاري: «وله حافظة نادرة قوية، ويعتبر في وقته نادرًا، ولم يكن له منافس في تفسير القرآن بأنواعه الأربعة: بالقرآن والسنة، وأقوال السلف، واللغة العربية، وعنده في اللغة استحضار عديم النظير»[٢] .

❑ وقال فيه تلميذه الشيخ بكر أبو زيد: «لو كان في هذا الزمان أحد يستحق أن يسمى شيخ الإسلام، لكان هو».

«اشتغل بتفسير القرآن على أوسع مجال في المملكة حوالي ثلاثين سنة تقريبًا، وفسّر القرآن في المسجد النبوي وحده ثلاث مرات قريبًا[٣] ، وقد سمعته يقول: ما من آية في المصحف إلا وعندي عنها ما قيل فيها، وقد ظهر ذلك جليًا في أضواء البيان بحمد اللَّه»[٤] .

درّس ـ رحمه اللَّه ـ التفسير بالمعهد العلمي وكلية الشريعة واللغة العربية بالرياض عشر سنين، ودرسه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوره اثنا عشر عامًا.

❑ يقول عنه تلميذه الشيخ عطية سالم: «وكان اهتمامه بالعلم وبالعلم وحده، وكل العلوم عنده آلة ووسيلة، وعلم الكتاب وحده غاية».

---

(١) المصدر السابق (ص١٤٥، ١٤٦).

(٢) «ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان» للشيخ عبدالرحمن السديس ـ طبع دار الهجرة.

(٣) توفى ولم يكمل الثالثة.

(٤) «ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي» للشيخ السديس.

وقال أيضًا: «مات ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بعد أن أحيا علومًا درست، وخلّف تراثًا باقيًا، وربّى أفواجًا متلاحقة تعد بالآلاف من خريجي كليات ومعاهد الإدراة العامة بالرياض، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ما مات ـ رحمه اللَّه ـ إلا بعد أن ترك في كل مكتبة وفي كل منزل «أضواء البيان» تبدد الظلام وتهدي السبيل».

ولو لم يكن للشيخ إلا «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» هذا الكتاب الجليل العظيم، لكفاه فخرًا مدى الأزمان.

بكت المثاني ترجمان بيانها ... حاميمها تبكي عليه وصادُ
وكذا المعاني كالمثـــان ثـواكلاً ... أُمَّاتُها تبكي وتبكي الضادُ
هذا البيـان وهـذه أضـواؤه ... عزّت لغير الشيخ لا تنقادُ

❑ أما مناقبة وشمائله فقد قال عنه تلميذه الشيخ عطية سالم: «لو أن للفضائل والمكرمات والشيم وصفات الكمال في الرجال عنوان يجمعها لكان هو أحق بها».

وقال عنه أيضًا: «وبالجملة؛ فقد كان ـ رحمه اللَّه ـ خير قدوة وأحسنها في جميع مجالات الحياة فكان العالم العامل، ولا أزكي على اللَّه أحدًا»[1].

❑ أما عن زهد الشيخ فحدّث ولا حرج، كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «الذي يُفرحنا أنه لو كانت الدنيا ميتة لأباح اللَّه منها سد الحاجة».

❑ وأهدى له الأمير عبداللَّه بن عبدالرحمن آل سعود شقيق الملك عبدالعزيز بيتًا في الطائف، فرّده، ولم يقبله، فسُئل عن ذلك؟ فقال: «الذي بناه يحتاجه لنفسه، أما أنا فلم أبنه ولم أحتاجه، وعندي بيتي في المدينة يكفيني».

(١) «إتحاف النبلاء بسير العلماء» (ص١٤١).

❑ وقال الشيخ بكر أبو زيد: «وقد كان شيخنا هو محمد الأمين الشنقيطي متقللاً من الدنيا وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية»[١].

* موقفه مع الحق:

كان ـ رحمه اللَّه ـ قويًا صلبًا في بيان الحق، لينًا سهلاً في الرجوع إلى ما ظهر إليه منه.

❑ يقول الشيخ عطية سالم ـ رحمه اللَّه ـ:

«في بعض الأعوام التي حججت معه قدمنا مكة يوم سبع من الشهر، وكان مفردًا الحج، وفي يوم الحج صحبته للسلام على سماحة المفتى ـ الشيخ محمد بن إبراهيم ـ بمنى، فسأله ـ رحمه اللَّه ـ عن نسكه فقال: جئت مفردًا الحج، وقصدًا فعلتُ، فأدرك المفتي ـ رحمه اللَّه ـ أن وراء ذلك شيئًا ولكن تلطف مع الشيخ وقال: أهو أفضل عندك حفظك اللَّه؟ فقال: حفظكم اللَّه لا للأفضلية فعلت، ولكن سمعت وتأكد عندي أن أشخاصًا ينتمون لطلب العلم يقولون لا يصلح الإفراد بالحج ويلزمون المفردين بالتحلل بعمرة، وهذا العمل لا يتناسب مع العديد من وفود بيت اللَّه الحرام كُلٌّ بما اختار من نسك، وكل يعمل بمذهب صحيح، وجرت محادثة من أنفس ما سمعت في تقرير هذا البحث مع مناقشة الأدلة وبيان الراجح، وأخيراً قال: أنه لا ينبغي بيان الأفضل فهذا أمر مختلف فيه وكلٌّ يختار ما يترجح عنده، ولكن يعنيني إبطال القول بالمنع من صحة إفراد الحج لأنه قول لم يُسبق إليه، والأمة مجمعة على صحته، فما كان من سماحة المفتي ـ رحمه اللَّه ـ إلاّ أن استحسن قوله ودعا له.

أما المواقف الدالة على لينه مع الحق ورجوعه إليه كلما ظهر له فهي

(١) «إتحاف النبلاء بسير العلماء» (ص١٣٨).

كثيرة، منها أنه في آخر دروسه في الحرم النبوي في سورة براءة أعلن عن رجوعه عن القول في الأشهر الحرم بأنها منسوخة، قال: الذي يظهر إنها محكمة وليست منسوخة وكنّا نقول بنسخها في «إيهام الاضطراب» ولكن ظهر لنا بالتأمل أنها محكمة»[1].

رحم اللَّه زاهد عصره وغريبه، فهو كما قال عنه الشيخ محمد بن مدين الشنقيطي

عجيب غريب في البرايا وإنما غرائبـه في العلـم فـوق الغرائبِ

*** دفاع الشنقيطي عن الشريعة وهدى القرآن وصدعه بالحق:**

يزخر الكتاب المبارك «أضواء البيان» للشنقيطي عن دفاعه العظيم عن الشريعة وهدى القرآن، وإفحامه للزنادقة الأقزام والمناوئين لشرع اللَّه عز وجل بعقولهم العفنة، ونسوق موضعًا من تفسيره عند قوله تعالى ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء: ٩].

❑ يقول ـ رحمه اللَّه[2] ـ:

هذه الآية الكريمة أجمل اللَّه جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم، لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خير الدنيا والآخرة، ولكننا إن شاء اللَّه تعالى سنذكر جملاً وافرة في جهات مختلفة كثيرة من هدي القرآن للطريق التي هي أقوم بيانًا لبعض ما أشارت إليه الآية الكريمة، تنبيهًا ببعضه على كله من المسائل العظام، والمسائل التي أنكرها الملحدون من الكفار، وطعنوا بسببها في دين الإسلام، لقصور

(١) المصدر السابق (ص ١٣٧ ـ ١٣٨).

(٢) أنظر المبحث الذي نسوق قطعًا منه في «أضواء البيان» (٣/ ٣٧٢ ـ ٤١٦).

إدراكهم عن معرفة حكمها البالغة».

ثم تكلم عن توحيد اللَّه عز وجل في القرآن، وهدى القرآن في جعل الطلاق بيد الرجل، وأن تسوية المرأة بالرجل في ذلك مكابرة في المحسوس، وتكلم عن تعدد الزوجات وأن ذلك من أقوم الطرق وأعدلها لأمور محسوسة يعرفها العقلاء، وهدي القرآن وهو أكمل هدى في تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث، ثم قال:

«فلتعلمن أيتها النساء اللاتي تحاولن أن تكن كالرجال في جميع الشئون أنكن مترجلات متشبهات بالرجال، وأنكن ملعونات في كتاب اللَّه على لسان رسوله ﷺ وكذلك المخنثون المتشبهون بالنساء، فهم أيضًا ملعونون في كتاب اللَّه على لسانه ﷺ، ولقد صدق من قال فيهم:

وما عجب أن النساء ترجلت ولكن تأنيث الرجال عجاب

واعلم وفقني اللَّه وإياك لما يحبه ويرضاه، أن هذه الفكرة الكافرة الخاطئة الخاسئة، المخالفة للحس والعقل، وللوحي السماوي وتشريع الخالق البارئ، من تسوية الأنثى بالذكر في جميع الأحكام والميادين، فيها من الفساد والإخلال بنظام المجتمع الإنساني مالا يخفى على أحد إلا من أعمى اللَّه بصيرته، وذلك لأن اللَّه جل وعلا جعل الأنثى بصفاتها الخاصة بها صالحة لأنواع من المشاركة في بناء المجتمع الإنساني، صلاحًا لا يصلحه لها غيرها كالحمل والوضع، والإرضاع وتربية الأولاد، وخدمة البيت، والقيام على شئونه: من طبخ وعجن وكنس ونحو ذلك. وهذه الخدمات التي تقوم بها للمجتمع الإنساني داخل بيتها في ستر وصيانة، وعفاف ومحافظة على الشرف والفضيلة والقيم الإنسانية ـ لا تقل عن خدمة الرجل بالاكتساب؛ فزعم أولئك السفلة الجهلة من الكفار وأتباعهم: أن المرأة لها من الحقوق في الخدمة خارج بيتها مثل ما للرجل، مع أنها في زمن حملها ورضاعها

ونفاسها، لا تقدر على مزاولة أي عمل فيه أي مشقة كما هو مشاهد. فإذا خرجت هي وزوجها بقيت خدمات البيت كلها ضائعة: من حفظ الأولاد الصغار، وإرضاع من هو في زمن الرضاع منهم، وتهيئة الأكل والشرب للرجل إذا جاء من عمله. فلو أجروا إنسانًا يقوم مقامها، لتعطل ذلك الإنسان في ذلك البيت التعطل الذي خرجت المرأة فرارًا منه، فعادت النتيجة في حافرتها على أن خروج المرأة وابتذالها فيه ضياع المروءة والدين؛ لأن المرأة متاع، وهو خير متاع الدنيا؛ وهو أشد أمتعة الدنيا تعرضًا للخيانة؛ لأن العين الخائنة إذا نظرت إلى شيء من محاسنها فقد استغلت بعض منافع ذلك الجمال خيانة ومكرًا، فتعريضها لأن تكون مائدة للخونة فيه ما لا يخفى على أدنى عاقل، وكذلك إذا لمس شيئًا من بدنها بدن خائن سرت لذة ذلك المس في دمه ولحمه بطبيعة الغريزة الإنسانية، ولا سيما إذا كان القلب فارغًا من خشية اللَّه تعالى، فاستغل نعمة ذلك البدن خيانة وغدرًا. وتحريك الغرائز بمثل ذلك النظر واللمس يكون غالبًا سببًا لما هو شر منه؛ كما هو مشاهد بكثرة في البلاد التي تخلت عن تعاليم الإسلام، وتركت الصيانة، فصارت نساؤها يخرجن متبرجات عاريات الأجسام إلا ما شاء اللَّه؛ لأن اللَّه نزع من رجالها صفة الرجولة والغيرة على حريمهم، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم! نعوذ باللَّه من مسخ الضمير والذوق، ومن كل سوء، ودعوى الجهلة السفلة: أن دوام خروج النساء بادية الرءوس والأعناق والمعاصم، والأذرع والسوق، ونحو ذلك يذهب إثارة غرائز الرجال؛ لأن كثرة الإمساس تذهب الإحساس، كلام في غاية السقوط والخسة؛ لأن معناه: إشباع الرغبة مما لا يجوز، حتى يزول الأرب بكثرة مزاولته، وهذا كما ترى. ولأن الدوام لا يذهب إثارة الغريزة باتفاق العقلاء؛ لأن الرجل يمكث مع امرأته سنين كثيرة حتى تلد أولادهما، ولا تزال ملامسته لها، ورؤيته لبعض جسمها تثير غريزته، كما هو مشاهد لا ينكره إلا مكابر:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

وقد أمر رب السموات والأرض، خالق هذا الكون ومدبر شئونه، العالم بخفايا أموره، وبكل ما كان وما سيكون ـ بغض البصر عما لا يحل، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الآية.

ثم تكلم عند هدي القرآن في ملك الرقيق وملك اليمين، وهديه في القصاص وهديه في قطع يد السارق، والدية، ورجم الزاني المحصن يقول ـ رحمه اللَّه ـ:

«ومن هدي القرآن التي هي أقوم: رجم الزاني المحصن ذكراً كان أو أنثى، وجلد الزاني البكر مائة جلدة ذكراً كان أو أنثى.

أما الرجم ـ فهو منصوص بآية منسوخة التلاوة باقية الحكم، وهي قوله تعالى: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من اللَّه واللَّه عز حكيم».

وقد قدمنا ذم القرآن للمعرض عما في التوراة من حكم الرجم، فدل القرآن في آيات محكمة ـ كقوله: ﴿يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه..﴾ الآية، وقوله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب اللَّه ليحكم بينهم..﴾ الآية ـ على ثبوت حكم الرجم في شريعة نبينا ﷺ لذمه في كتابنا للمعرض عنه كما تقدم.

وما ذكرنا من أن حكم الرجم ثابت بالقرآن لا ينافي قول علي رضي الله عنه، حين رجم امرأة يوم الجمعة: «رجمتها بسنة رسول اللَّه ﷺ»؛ لأن السنة هي التي بينت أن حكم آية الرجم باق بعد نسخ تلاوتها. ويدل لذلك قول عمر رضي الله عنه في حديثه الصحيح المشهور: «فكان مما أنزل إليه آية الرجم،

فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول اللَّه ﷺ ورجمنا بعده..» الحديث.

والملحدون يقولون: إن الرجم قتل وحشي لا يناسب الحكمة التشريعية، ولا ينبغي أن يكون مثله في الأنظمة التي يعامل بها الإنسان، لقصور إدراكهم عن فهم حكم اللَّه البالغة في تشريعه.

والحاصل ـ أن الرجم عقوبة سماوية معقولة المعنى؛ لأن الزاني لما أدخل فرجه في فرج امرأة على وجه الخيانة والغدر، فإنه ارتكب أخس جريمة عرفها الإنسان بهتك الأعراض، وتقذير الحرمات، والسعي في ضياع أنساب المجتمع الإنساني، والمرأة التي تطاوعه في ذلك مثله. ومن كان كذلك فهو نجس قذر لا يصلح للمصاحبة، فعاقبه خالقه الحكيم الخبير بالقتل ليدفع شره البالغ غاية الخبث والخسة، وشر أمثاله عن المجتمع. ويطهره هو من التنجيس بتلك القاذورة التي ارتكب، وجعل قتلته أفظع قتلة؛ لأن جريمته أفظع جريمة والجزاء من جنس العمل.

وقد دل الشرع المطهر على أن إدخال الفرج في الفرج المأذون فيه شرعًا يوجب الغسل، والمنع من دخول المسجد على كل واحد منهما حتى يغتسل بالماء. فدل ذلك أن ذلك الفعل يتطلب طهارة في الأصل، وطهارته المعنوية إن كان حرامًا قتل صاحبه المحصن؛ لأنه إن رجم كفر ذلك عنه ذنب الزنى ويبقى عليه حق الآدمي، كالزوج إن زنى بمتزوجة وحق الأولياء في إلحاق العار بهم كما أشرنا له سابقًا. وشدة قبح الزني أمر مركوز في الطبائع، وقد قالت هند بنت عتبة وهي كافرة: ما أقبح ذلك الفعل حلالاً! فكيف به وهو حرام، وغلظ جل وعلا عقوبة المحصن بالرجم تغليظًا أشد من تغليظ عقوبة البكر بمائة جلدة؛ لأن المحصن قد ذاق عسيلة النساء، ومن كان كذلك يعسر عليه الصبر عنهن، فلما كان الداعي إلى الزنى أعظم، كان الرادع عنه أعظم

وهو الرجم.

وأما جلد الزاني البكر ذكرًا كان أو أنثى مائة جلدة ـ فهذا منصوص بقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ..﴾ الآية؛ لأن هذه العقوبة تردعه وأمثاله عن الزني، وتطهره من ذنب الزني كما تقدم. وسيأتي إن شاء اللَّه تعالى تفصيل ما يلزم الزناة من ذكور وإناث وعبيد وأحرار «في سورة النور».

وتشريع الحكيم الخبير جل وعلا ـ مشتمل على جميع الحكم من درء المفاسد وجلب المصالح، والجري على مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، ولا شك أن من أقوم الطرق معاقبة فظيع الجناية بعظيم العقاب جزاء وفاقًا».

❑ وبين ـ رحمه اللَّه ـ أن التقدم لا ينافي التمسك بالدين، وبيّن سذاجة وجهل وعمي بصائر من تركوا دينهم واتبعوا الغرب، وتقولهم الباطل على الدين الإسلامي ورميه بما هو بريئ منه لينفروا منه ضعاف العقول ممن ينتمي للإسلام ليمكنهم الاستيلاء عليهم؛ لأنهم لو عرفوا الدين حقًا واتبعوه لفعلوا بهم ما فعل أسلافهم بأسلافهم، فالدين هو هو وصلته باللَّه هي هي، ولكن المنتسبين إليه في جل أقطار الدنيا تنكروا له، ونظروا إليه بعين المقت والازدراء؛ فجعلهم اللَّه أرقاء للكفرة الفجرة؛ ولو راجعوا دينهم لرجع لهم عزهم ومجدهم، وقادوا جميع أهل الأرض. وهذا مما لا شك فيه ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾.

❑ ومن هدي القرآن للتي هي أقوم ـ بيانه أن كل من اتبع تشريعًا غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد بن عبداللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليه فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفر بواح، مخرج عن الملة الإسلامية. ولما قال الكفار للنبي ﷺ: الشاة تصبح ميتة من قتلها؟ فقال لهم: «اللَّه قتلها» فقالوا له: ما ذبحتم بأيديكم حلال، وما ذبحه اللَّه بيده الكريمة تقولون

إنه حرام! فأنتم إذن أحسن من اللَّه!؟ أنزل اللَّه فيهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ حذف الفاء من قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ يدل على قسم محذوف فهو قسم من اللَّه جل وعلا أقسم به على أن من اتبع الشيطان في تحليل الميتة أنه مشرك، وهذا الشرك مخرج عن الملة بإجماع المسلمين، وسيوبخ اللَّه مرتكبه يوم القيامة بقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ لأن طاعته في تشريعه المخالف للوحي هي عبادته.

* وقال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ أي: ما يعبدون إلا شيطانًا، وذلك باتباعهم تشريعه.

* وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ..﴾ الآية فسماهم شركاء؛ لأنهم أطاعوهم في معصية اللَّه تعالى.

* وقال عن خليله: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ الآية، أي بطاعته في الكفر والمعاصي. ولما سأل عدي بن حاتم النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿أتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا﴾ الآية، بين له أن معنى ذلك أنهم أطاعوهم في تحريم ما أحل اللَّه وتحليل ما حرم. والآيات بمثل هذا كثيرة.

* والعجب ممن يحكم غير تشريع اللَّه ثم يدعي الإسلام، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

* وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

* وقال: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

❑ ومن هدي القرآن للتي هي أقوم ـ هديه إلى أن الرابطة التي يجب أن يعتقد أنها هي التي تربط بين أفراد المجتمع، وأن ينادي بالارتباط بها دون غيرها إنما هي دين الإسلام؛ لأنه هو الذي يربط بين أفراد المجتمع حتى يصير بقوة تلك الرابطة جميع المجتمع الإسلامي كأنه جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. فربط الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمعصمك، ورجلك، بساقك، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: **«إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**.

ولذلك يكثر في القرآن العظيم إطلاق النفس وإرادة الأخ تنبيها على أن رابطة الإسلام تجعل أخا المسلم كنفسه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ الآية، أي لا تخرجون إخوانكم.

* وقوله: ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾، أي: بإخوانهم على أصح التفسيرين.

* وقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ الآية، أي: إخوانكم على أصح التفسيرين.

* وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم﴾ الآية، أي لا يأكل أحدكم مال أخيه، إلى غير ذلك من الآيات، ولذلك ثبت في «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**.

* ومن الآيات الدالة على أن الرابطة الحقيقية هي الدين، وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية: قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ

قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ إذ لا رابطة نسبية أقرب من رابطة الآباء والأبناء والإخوان والعشائر.

* وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ الآية.

* وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

* وقوله: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

❑ فهذه الآيات وأمثالها تدل على أن النداء برابطة أخرى غير الإسلام كالعصبية المعروفة بالقومية ـ لا يجوز، ولا شك أنه ممنوع بإجماع المسلمين.

ومن أصرح الأدلة في ذلك: ما رواه البخاري في «صحيحه» قال: باب قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان قال: حفظناه من عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبدالله ﷺ يقول: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار!! وقال المهاجري: يا للمهاجرين!! فسمعها الله رسوله فقال: «ما هذا؟» فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة..**» الحديث.

فقول هذا الأنصاري: يا للأنصار، وهذا المهاجري: يا للمهاجرين ـ هو النداء بالقومية العصبية بعينه، وقول النبي ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**» يقتضي وجوب ترك النداء بها؛ لأن قوله: «**دعوها**» أمر صريح بتركها، والأمر المطلق يقتضي الوجوب على التحقيق كما تقرر في الأصول؛ لأن الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* ويقول لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فدل على أن مخالفة الأمر معصية.

* وقال تعالى عن نبيه موسى في خطابه لأخيه: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ فأطلق اسم المعصية على مخالفة الأمر.

* وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ فدلت الآية على أن أمر الرسول ﷺ مانع من الاختيار، موجب للامتثال، لا سيما وقد أكد النبي ﷺ هذا الأمر بالترك بقوله: «**فإنها منتنة**». وحسبك النتن موجبًا للتباعد لدلالته على الخبث البالغ.

❑ فدل هذا الحديث الصحيح على أن النداء برابطة القومية مخالف لما أمر به النبي ﷺ، وأن فاعله يتعاطى المنتن، ولا شك أن المنتن خبيث، واللَّه تعالى يقول: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ..﴾ الآية، ويقول: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ وحديث جابر هذا الذي قدمناه عن البخاري أخرجه أيضًا مسلم في «صحيحه» قال ـ رحمه اللَّه ـ: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب، وأحمد بن عبدة الضبي، وابن أبي عمر، واللفظ لابن أبي شيبة قال ابن عبدة: أخبرنا وقال الآخرون: حدثنا سفيان بن عيينة قال سمع عمرو جابر بن عبداللَّه يقول: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار؟! وقال المهاجري: يا للمهاجرين!؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما بال دعوى الجاهلية!**» قالوا: يا رسول اللَّه، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال: «**دعوها فإنها منتنة**» الحديث.

❑ وقد عرفت وجه دلالة هذا الحديث على التحريم، مع أن في بعض رواياته الثابتة في «الصحيح» التصريح بأن دعوى الرجل: «يا لبني فلان» من

دعوى الجاهلية. وإذا صح بذلك أنها من دعوى الجاهلية فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس منا ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**». وفي رواية في «الصحيح»: «**ليس منا من ضرب الخدود، أو شق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية**»، وذلك صريح في أن من دعا تلك الدعوى ليس منا، وهو دليل واضح على التحريم الشديد. ومما يدل لذلك قوله ﷺ: «**من تعزى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا**» هذا حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد من طرق متعددة عن عتي بن ضمرة السعدي، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وذكره صاحب الجامع الصغير بلفظ «إذا سمعتم من يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا» وأشار لأنه أخرجه أحمد في «المسند»، والنسائي، وابن حبان، والطبراني في «الكبير»، والضياء المقدسي عن أبيّ رضي الله عنه، وجعل عليه علامة الصحة. وذكره أيضًا صاحب «الجامع الصغير» بلفظ: «إذا رأيتم الرجل يتعزى..» إلخ، وأشار إلى أنه أخرجه الإمام أحمد في المسند والترمذي، وجعل عليه علامة الصحة. وقال شارحه المناوي: ورواه عنه أيضًا الطبراني. قال الهيثمي: ورجاله ثقات. وقال شارحه العزيزي: هو حديث صحيح. وقال فيه الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني في كتابه «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» قال النجم: رواه أحمد والنسائي وابن حبان عن أبي بن كعب رضي الله عنه. ومراده بالنجم: الشيخ محمد نجم الدين الغزي في كتابه المسمى «إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن» فانظر كيف سمى النبي ﷺ ذلك النداء «عزاء الجاهلية» وأمر أن يقال للداعي به «إعضض على هن أبيك» أي فرجه، وأن يصرح له بذلك ولا يعبر عنه بالكناية. فهذا يدل على شدة قبح هذا النداء، وشدة بغض النبي ﷺ.

واعلم أن رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية: أبو جهل، وأبو لهب، والوليد بن المغيرة، ونظراؤهم من رؤساء الكفرة.

وقد بين تعالى تعصبهم لقوميتهم في آيات كثيرة؛ كقوله: ﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا..﴾ الآية، وقوله: ﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ الآية، وأمثال ذلك من الآيات.

واعلم أنه لا خلاف بين العلماء ـ كما ذكرنا آنفًا ـ في منع النداء برابطة غير الإسلام؛ كالقوميات والعصبيات النسبية، ولا سيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية؛ فإن النداء بها حينئذ معناه الحقيقي: أنه نداء إلى التخلي عن دين الإسلام، ورفض الرابطة السماوية رفضًا باتًا، على أن يعتاض من ذلك روابط عصبية قومية، مدارها على أن هذا من العرب، وهذا منهم أيضًا مثلاً؛ فالعروبة لا يمكن أن تكون خلفًا من الإسلام، واستبدالها به صفقة خاسرة؛ فهي كما قال الراجز:

بدلت بالجمة رأسًا أزعرًا وبالثنايا الواضحات الدردرا

كما اشترى المسلم إذ تنصرا

وقد علم في التاريخ حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعده كما لا يخفى.

□ والحاصل ـ أن الرابطة الحقيقة التي تجمع المفترق وتؤلف المختلف هي رابطة «لا إله إلا اللَّه» ألا ترى أن هذه الرابطة التي تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد، وتجعله كالبنيان يشد بعضه بعضًا، عطفت قلوب حملة العرش ومن حوله من الملائكة على بني آدم في الأرض مع ما بينهم من الاختلاف قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فقد أشار تعالى إلى أن الرابطة التي ربطت بين حملة العرش ومن حوله، وبين بني آدم في الأرض حتى دعوا اللَّه لهم هذا الدعاء الصالح العظيم، إنما هي الإيمان باللَّه جل وعلا؛ لأنه قال عن الملائكة: «ويؤمنون به» فوصفهم بالإيمان. وقال عن بني آدم في استغفار الملائكة لهم: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ فوصفهم أيضًا بالإيمان فدل ذلك على أن الرابطة بينهم هي الإيمان وهو أعظم رابطة.

ومما يوضح لك أن الرابطة الحقيقة هي دين الإسلام ـ قوله تعالى في أبي لهب عم النبي ﷺ: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ويقابل ذلك بما لسلمان الفارسي من الفضل والمكانة عند النبي ﷺ والمسلمين، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال فيه: «سلمان منا أهل البيت» ورواه الطبراني والحاكم في «المستدرك»، وجعل عليه صاحب «الجامع الصغير» علامة الصحة. وضعفه الحافظ الذهبي. وقال الهيثمي فيه عند الطبراني كثير بن عبداللَّه المزني ضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات. وقد أجاد من قال:

لقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ ... وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

❑ وقد أجمع العلماء: على أن الرجل إن مات وليس له من القرباء إلا ابن كافر، أن إرثه يكون للمسلمين بإخوة الإسلام، ولا يكون لولده لصلبه الذي هو كافر، والميراث دليل القرابة. فدل ذلك على أن الأخوة الدينية أقرب من النبوة النسبية.

وبالجملة، فلا خلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض، وتربط بين أهل الأرض والسماء، هي رابطة «لا إله إلا اللَّه» فلا يجوز البتة النداء برابطة غيرها.

* ومن والى الكفار بالروابط النسبية محبة لهم، ورغبة فيهم يدخل في

قوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ألا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ والعلم عند اللَّه تعالى».

❑ وتكلم الشيخ عن ضعف المسلمين في أقطار الدنيا عن مقاومة الكفار وأن حل هذه المشكلة هو بصدق التوجه إلى اللَّه تعالى، وقوة الإيمان به والتوكل عليه؛ لأن اللَّه قوي عزيز قاهر لكل شيء؛ فمن كان من حزبه على الحقيقة لا يمكن أن يغلبه الكفار ولو بلغوا من القوة ما بلغوا.

فالإيمان الكامل، والتسليم العظيم للَّه جل وعلا، ثقة به وتوكلاً عليه هو سبب حل هذه المشكلة العظمى.

❑ ثم تكلم عن تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء ـ مع أن المسلمين على الحق، والكفار على الباطل.

❑ قال ـ رحمه اللَّه ـ: وهذه المشكلة استشكلها أصحاب النبي ﷺ، فأفتى اللَّه جل وعلا فيها، وبين السبب في ذلك بفتوى سماوية تتلى في كتابه جل وعلا.

وذلك أنه لما وقع ما وقع بالمسلمين يوم أحد. فقتل عم رسول اللَّه ﷺ وابن عمته، ومثل بهما، وقتل غيرهما من المهاجرين، وقتل سبعون رجلاً من الأنصار، وجرح ﷺ، وشقت شفته، وكسرت رباعيته، وشج ﷺ.

استشكل المسلمون ذلك وقالوا: كيف يدال منا المشركون؟ ونحن على الحف وهم على الباطل؟! فأنزل اللَّه قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ فيه إجمال بينه تعالى

بقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا - إلى قوله: لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾.

ففي هذه الفتوى السماوية بيان واضح؛ بأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين، وتنازعهم في الأمر، وعصيانهم أمره ﷺ، وإرادة بعضهم الدنيا مقدمًا لها على أمر الرسول ﷺ. وقد أوضحنا هذا في سورة «آل عمران». ومن عرف أصل الداء عرف الدواء، كما لا يخفى.

* كلام الشيخ عن اختلاف القلوب:

فقال - رحمه اللَّه -: المشكلة الثالثة هي اختلاف القلوب الذي هو أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية، لاستلزامه الفشل، وذهاب القوة والدولة، كما قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾. وقد أوضحنا معنى هذه الآية في سورة «الأنفال».

فترى المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا يضمر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء، وإن جامل بعضهم بعضًا فإنه لا يخفى على أحد أنها مجاملة، وأن ما تنطوي عليه الضمائر مخالف لذلك.

وقد بين تعالى في سورة «الحشر» أن سبب هذا الداء الذي عمت به البلوى إنما هو ضعف العقل؛ قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ولا شك أن داء ضعف العقل الذي يصيبه فيضعفه عن إدراك الحقائق، وتمييز الحق من الباطل، والنافع من الضار، والحسن من القبيح، لا دواء له إلا إنارته بنور الوحي؛ لأن نور الوحي يحيا به من كان ميتًا ويضيء الطريق المتمسك به؛ فيريه الحق حقًّا والباطل باطلاً، والنافع نافعًا، والضار ضارًا؛ قال تعالى:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾.

* وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ومن أخرج من الظلمات إلى النور أبصر الحق؛ لأن ذلك النور يكشف له عن الحقائق فيريه الحق حقًّا، والباطل باطلاً.

* وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

* وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾.

* وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الإيمان يكسب الإنسان حياة بدلاً من الموت الذي كان فيه، ونورًا بدلاً من الظلمات التي كان فيها.

وهذا النور العظيم يكشف الحقائق كشفًا عظيمًا؛ كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ ـ إلى قوله: ـ ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ـ ولما كان تتبع جميع ما تدل عليه هذه الآية الكريمة من هدي القرآن التي هي أقوم ـ يقتضي تتبع جميع القرآن وجميع السنة لأن العمل بالسنة من هدي القرآن للتي هي أقوم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ وكان تتبع جميع ذلك غير ممكن في هذا الكتاب المبارك، اقتصرنا على هذه الجمل التي ذكرنا من هدي القرآن للتي هي أقوم تنبيهًا بها على غيرها. والعلم عند اللَّه تعالى.

رحم اللَّه الشيخ الشنقيطي بما نصح لأمته ودعاؤه إياها للصراط المستقيم.